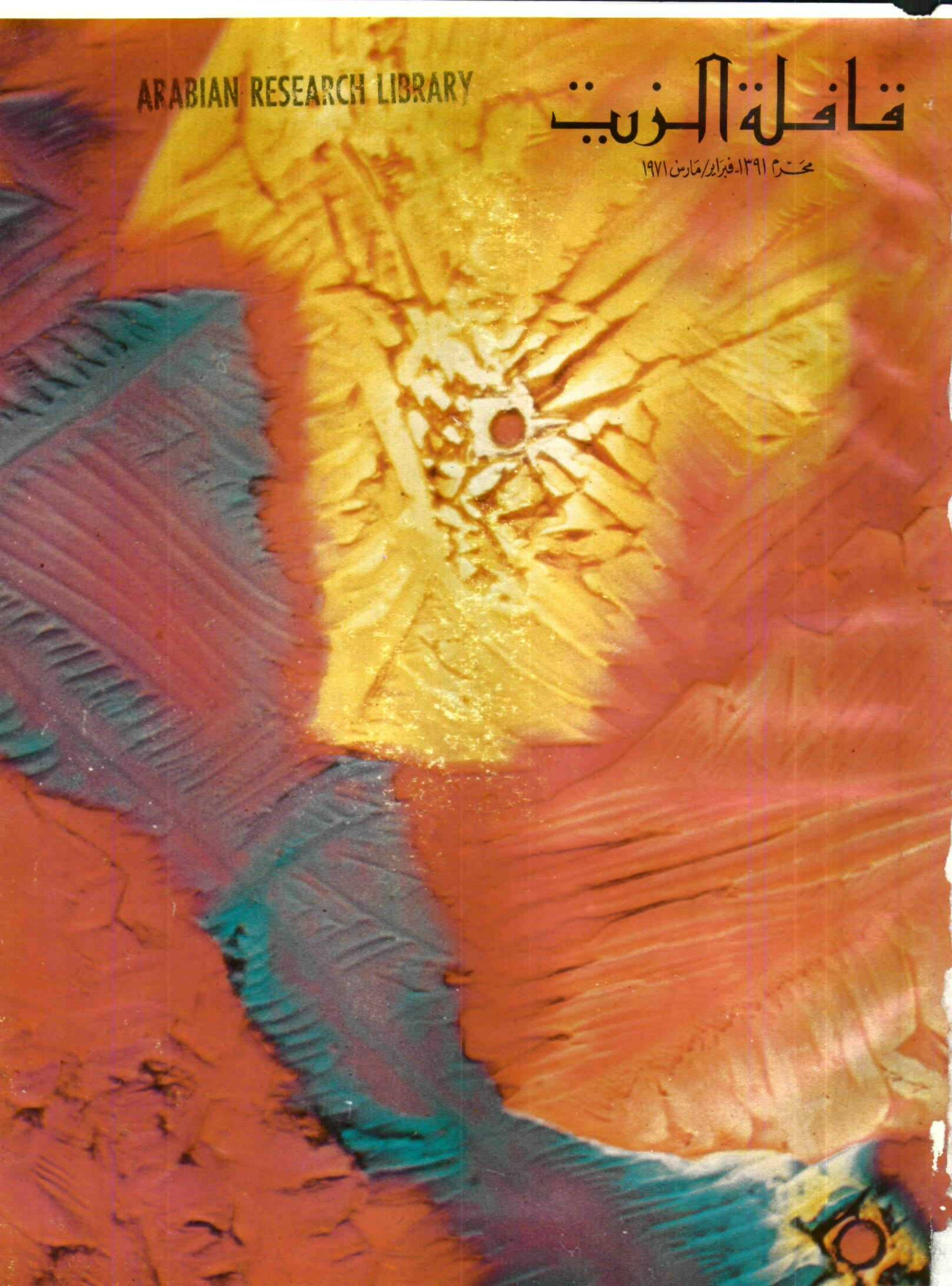

قافلة الزيت
محرم ١٣٩١ـ فبراير/مارس ١٩٧١
ARABIAN RESEARCH LIBRARY



لوحة من فن الرسم التكعيبي للفنان السعودي عبد الحليم رضوي.

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد الاول المجلد التاسع عشر

تصدر شهرياً عن شركة الزيت العربية الامريكية لموظفيها
ادارة العلاقات العامة
توزع مجاناً

العنوان صندوق البريد رقم ١٣٨٩ الظهران - المملكة العربية السعودية

محتويات العدد

آداب

مع الأصفهاني في كتابه « مفردات القرآن » .... د. أحمد الشرباصي ٣
وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي .... د. محمد الأمين طه ٦
المؤذن (قصيدة) .... عدنان مردم بك ١٢
وحيدة (قصة) .... عبد العزيز ضياء ٣١
المثالية (قصيدة) .... أحمد ابراهيم الغزاوي ٣٤
تاريخ العين العزيزية (حصاد الكتب) .... عبد السلام هاشم حافظ ٣٩
أخبار الكتب ٤٢

لقاء مع :

محمود تيمور .... محمد رفعت المحامي ٢١

علوم

ملك الانسان على الأرض .... د. فؤاد صروف ٩
الأعشاب الضارة وطرق مكافحتها .... د. عبد الرحمن الصغير ٣٥
تعقيب على استطلاع : « الوجه .. الحسن » .... حسين حسن التواتي ٣٨

استطلاعات

ينبع .. الخير .... هيئة التحرير ١٣
الشموع البترولية واستعمالاتها .... هيئة التحرير ٢٥
السكك الحديدية عبر التاريخ .... هيئة التحرير ٤٣

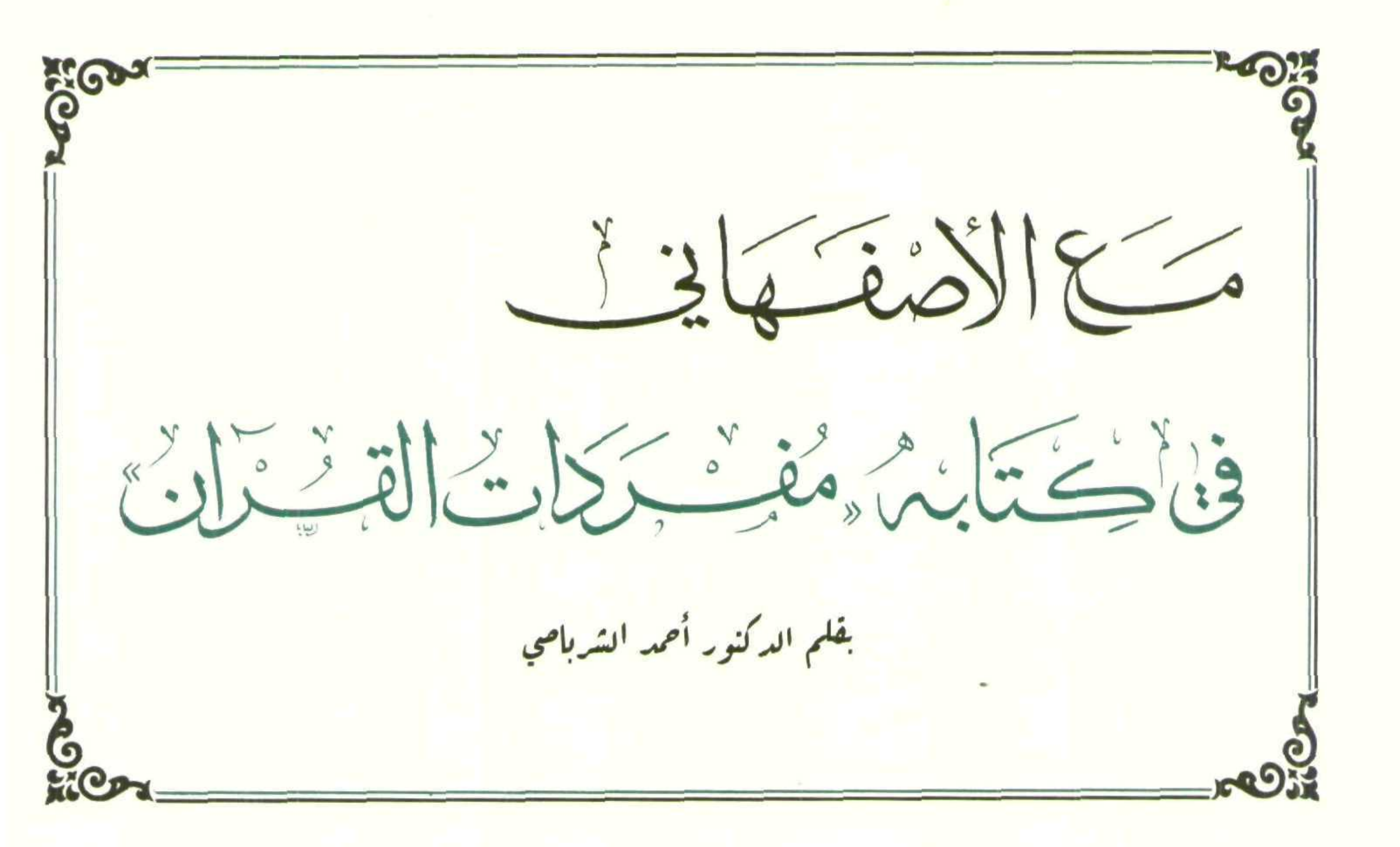
صورة الغلاف

الشموع البترولية أصبحت تشكل مادة أساسية لاستعمالات عديدة تفي باحتياجات الانسان .

راجع مقال :
(الشموع البترولية)

المدير العام : مصطفى حسن الخان المدير المسؤول : علي حسن قبنا ديلي

رئيس التحرير : منصور مدني المحرر المساعد : عوني ابو كشك



مع الأصفهاني في كتابه «مفردات القرآن»

بقلم الدكتور أحمد الشرباصي

ليس المراد من هذا الفصل أن نترجم للأصفهاني ، وانما المراد أن نصاحبه قليلا في كتابه الجليل المشهور « مفردات القرآن » ، ولو أردنا أن نترجم للأصفهاني في فصل مستقل لما تيسر ذلك ، لأن المعلومات التي توجد عنه بين أيدينا لا تكفي لاستقلالها بفصل من الكلام ، وكل ما نجده عنه هو نتف من الأخبار الكامنة في مؤلفات : « تاريخ حكماء الاسلام » و « كشف الظنون » ، و « كنوز الاجداد » ، و « معجم المؤلفين » ، و « الأعلام » .

وحسبنا أن نعلم أنه أبو القاسم الحسين ابن محمد بن الفضل المشهور بالراغب الأصفهاني — أو الأصبهاني — المولود عام (٥٠٢هـ — ١١٠٨م) ولم يتحدث عنه المؤرخون كثيرا ، ولكنهم يذكرون أنه كان لغويا محدثا شاعرا كاتبا . وقد سكن بغداد واشتهر . وكان الامام الرازي يقرن الأصفهاني بحجة الاسلام الامام أبي حامد الغزالي .

وللأصفهاني طائفة من الكتب منها «مفردات القرآن » ، و « محاضرات الأدباء » ، و «محاورات الشعراء البلغاء » ، و « الذريعة الى مكارم الشريعة » ، و « تفصيل النشأتين » ، و « تحصيل السعادتين » ، و « تحقيق البيان في تأويل القرآن » ، ويقال له « جامع التفاسير » ، وقد أخذ عنه المفسر البيضاوي ، و « الأخلاق » ، و « تحقيق البيان » ، و « الاعتقاد » ، وغيرها الى جانب رسالة في فوائد القرآن .

وقد تحدث الأصفهاني في مقدمة كتابه « مفردات القرآن » عن منهجه فقال : « فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته ، وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم ، واليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم ، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالاضافة اليها كالقشور والنوى بالاضافة الى أطايب الثمرة ، وكالحثالة والتبن بالاضافة الى لبوب الحنطة .

وقد استخرت الله تعالى في املاء كتاب مستوفى فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي ، فتقدم ما أوله الألف ثم الباء على حروف المعجم ، معتبرا فيه أوائل حروفه الأصلية دون الزوائد ، والاشارة فيه الى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات ، حسبما يحتمل التوسع في هذا الكتاب ، وأحيل بالقوانين الدالة على تحقيق مناسبات الألفاظ على الرسالة التي عملها مختصة بهذا الباب ، ففي اعتماد ما حررته من هذا النحو استغناء في بابه عن المثبطات عن المسارعة في سبيل الخيرات ، وعن المسابقة الى ما حثنا عليه بقوله : **(سابقوا الى مغفرة من ربكم)** سهّل الله علينا الطريق اليها » .

وهو يقول هذا بعد أن يقرر أن الله تبارك وتعالى قد جعل كتابه المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ، متضمنا ثمرة كتبه التي أولاها أوائل الأمم ، كما نبه عليه بقوله تعالى : « **يتلو صحفا مطهرة ، فيها كتب قيمة** » ، وقد جعل الله من

معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم يتضمن المعنى الجم ، بحيث تقصر الألباب البشرية عن احصائه ، والآلات الدينوية عن استيفائه ، كما أشار اليه بقوله تعالى : « **ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم** » .

ويقرر أن القرآن وان كان لا يخلو الناظر فيه من نور يقبسه عنه ، وفائدة يهيئها القرآن له ، الا أن القرآن :

كالبدر من حيث التفت رأيتــه
يهدي الى عينيك نــورا ثاقبــا
كالشمس في كبد السماء ، وضوءها
يغشى البــلاد مشارقــا ومغاربــا

ولكن محاسن هذا الكتاب لا يثقفها الا البصائر الجلية ، وأطايب ثمره لا يقطفها الا الأيدي الزكية ، ومنافع شفائه لا ينالها الا النفوس النقية .

وليس الأصفهاني بالمؤلف الفرد في تفسير مفردات القرآن ، فهناك مؤلفون آخرون سبقوه في هذا المجال ، وهناك مؤلفون جاءوا بعده ، فالمكتبة العربية الاسلامية تعرف كتاب « نزهة القلوب في غريب القــرآن » للسجستاني العزيزي المتوفى سنة ٣٣٠هـ ، و « ألفية العراقي في غريب القرآن » لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين المعروف بالعراقي المتوفى سنة ٨٠٦هـ ، وكتاب « غريب القرآن » لزين الدين أبي العدل قاسم الجمالي المتوفى سنة ٨٧٩هـ . وكتاب « غريب القرآن » للعلامة عبد البر ابن محمد بن محمد الحلبي المعروف بابن الشحنة المتوفى سنة ٩٢١هـ .

وهناك أيضا كتاب « جامع المفردات » للشيخ محمد مراد البخاري النقشبندي الكشميري ، من علماء القرن الثاني عشر الهجري ، جعله على مثال مفرذات الأصفهاني ، ولكنه كتبه بالعربية والفارسية والتركية .

وهناك «غريب القرآن» لأبي حيان التوحيدي . و « غريب القرآن » للدهلوي ، و « غريب القرآن » لابن قتيبة ، وباب خاص للغريب في كتاب « الاتقان » للسيوطي ، وكتــاب « البرهان » للزركشي ، وغير ذلك .

ومع كثرة ما كتبه العلماء قديما وحديثا في مفردات القرآن ، ظل كتاب الأصفهاني كالعلم المرفوع المشهور في هذا الباب ، حتى استحق أن يقول فيه بعض العلماء : « هو كتاب خدم به القرآن الكريم أكبر خدمة ، ونفع به من يتعاطى علوم القرآن من هذه الأمة ، فبذل غاية وسعه في تفسير كلماته العزيزة ، وشرح معناها المراد بأحسن عبارة وجيزة ، مع استكمال معانيها اللغوية ، واستطراد أصل المعنى في سائرها حتى تتبين القواعد الاشتقاقية ، فجاء بمزية قل أن تعثر على بعضها في الأسفار العربية ، أو تظفر بها في الدواوين الأدبية . هذا مع التعرض للمعاني القرآنية القريبة ، ومحاسن مواقعها البعيــدة والقريبة » .

ومع علو مكانة الكتاب وسمو قدره نجد الأصفهاني يتحدث الينا فيشعرنا بأن الكتاب لم يحقق كل المأمول ، ولذلك ينوي أن يضيف اليه كتابا ينبيء عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد ، وما بينها من الفروق الغامضة ، حتى نعرف اختصاص كل معنى بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره ، كالفرق بين القلب والفؤاد والصدر ، والفرق بين يتفكرون ويعلمون ويفقهون ، وكالفرق بين الحمد والشكر .. الخ .

والأصفهاني يبدأ كتابه بعبارة حلوة يقول في مطلعها : « أسأل الله أن يجعل لنا من أنواره نورا يرينا الخير والشر بصورتيهما ، ويعرّفنا الحق والباطل بحقيقتيهما ، حتى نكون ممن يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم ، ومن الموصوفين بقوله تعالى : (**هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين**) . وقوله : (**أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه**) » .

ونحن متفقون من غير شك مع الأصفهاني حين يرى أن أول ما يحتاج اليه المشتغل بعلوم القرآن هو العلوم اللفظية ، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة ، وادراك معاني المفردات هو أول خطوة يجب أن يخطوها من يريد أن يعرف معاني العبارات ومغازيها ، والابتداء بمعرفة المفردات ليس مقصورا على علوم القرآن ، بل هو لازم في سائر العلوم الشرعية .

والأصفهاني اذا عرض لمفرد من المفردات القرآنية ذكر معناه اللغوي أولا – في الغالب – ثم ذكر معناه القرآني ، ثم استعرض معظم الاستعمالات لهذا المفرد في آيات الكتاب المجيد ، واستشهد على كل استعمال بآية أو جزء منها ، وقد يورد أكثر من آية ، وان كان لا يفصل بين الآية والأخرى بفاصل ، حتى ان الآيات قد تتداخل في فهم القارىء غير الحافظ لكتاب الله ، وهو لا يذكر اسم السورة مع الآية التي يستشهد بها ، وقد يعود فيستطرد بعرض معان أخرى غير قرآنية للكلمة . أو يستطرد فيذكر معلومات فقهية أو اعتقادية تناسب الكلمة .

وهو يتقلب بين الايجاز والاعتــدال والاسهاب في المواد التي يتحدث عنها ، ونراه في بعض الأحيان يتوسع في عمق وروعة ، كما فعل في مادة « كره » حيث استغرق في الحديث عنها نحو صفحتين ، واستوعب فيها المعاني المحتملة في قوله تعالى : « **لا اكراه في الدين** » فنراه يقول :

« قيل : كان ذلك في ابتداء الاسلام ، فانه كان يعرض على الانسان الاسلام ، فان أجاب والا ترك . والثاني أن ذلك في أصل الكتاب ، فانهم ان أرادوا الجزية والتزموا الشرائط تركوا ، والثالث انه لا حكم لمن أكره على دين باطل فاعترف به ودخل فيه ، كما قال : « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » . والرابع لا اعتداد في الآخرة بما يفعل الانسان في الدنيا من الطاعة كرها ، فان الله تعالى يعتبر السرائر ، ولا يرضى الا الاخلاص ، ولهذا قال عليه السلام : « انما الأعمال بالنيات » وقال : « أخلص يكفك القليل من العمل » . والخامس : معناه لا يحمل الانسان على أمر مكروه في الحقيقة مما يكلفهم الله ، بل يحملون على نعيم الأبد ، ولهذا قال عليه السلام : « عجب ربكم من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل . والسادس أن الدين الجزاء ، ومعناه أن الله ليس بمكره على الجزاء ، بل يفعل ما يشاء بمن يشاء كما يشاء » .

ومع تقديرنا للأصفهاني واعجابنا الواسع بكتابه نلاحظ عليه طائفة من الملاحظات : انه يفسر

الشيء بما يقرب من نفسه ، كما في مادة «زمل» كيف قال : « يا أيها المزمل ، أي المتزمل بكتابه » وكلمة « المتزمل » لم تفدنا — كما ترى — شيئا ذا بال في توضيح معنى المزمل ، وهذا ابن فارس في « معجم مقاييس اللغة » يوضح معناها بقوله : « والمتزمل الذي اذا حز به أمر تزمل ، أي ضاعف عليه الثياب ، حتى يصير كأنه حمل ، لأن هذه المادة تدل في أصلها على حمل ثقل من الأثقال » .

وأحيانا لا يأتي الأصفهاني بطائل في المادة ، كما نراه في مادة « يقطين » فكل ما قاله فيها هو : « قطن : وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ، والقطن وقطن والحيوان معروفـــان » فلم يفسر كلمة « يقطين » بشيء . وهذا هو السجستاني نـراه في « غريب القرآن » يقول : « اليقطين هو كل شجر لا يقوم على ساق ، مثل القرع والبطيخ ونحوهما » .

وفي مادة « قرع » يقول الأصفهانـــي : « القرع ضرب شيء عـــلى شيء ، ومنه : قرعته بالمقرعة . قال : **كذبت ثمود وعاد بالقارعة . القارعة ماالقارعة »** . ولم يفسر كلمة « القارعة » بشيء . وهذا ابن قتيبة في « غريب القرآن» يقول : القارعة القيامة ، لأنها تقرع الخلائق بأحوالها وأفزاعها ، ويقال : أصابتهم قوارع الدهر » . والمراد بالقارعة في القرآن هو القيامة ، لشدة عذابها ، والقارعة هي الداهية .

وفي مادة « لؤلؤ » لا يزيد الأصفهاني عن قوله : **يخرج منهما اللؤلؤ** ، وقال : كأنهم لؤلؤ ، وجمعه لآلىء ، وتلألأ الشيء لمع لمعان اللؤلؤ ، وقيل : لا أفعل ذلك ما لألأت الظباء بأذنابها » . فأين معنى اللؤلؤ نفسه ؟ . وهذا هو النووي يقول في كتابه « تهذيب الأسماء واللغات » ان اللؤلؤ هو الحبات العظيمة من المرجان . وهو جوهر معروف يستخرج من البحار .

وفي مادة « نعق » يقول الأصفهاني : « نعق : نعق الراعي بصوته ، قال تعالى : **كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء » .** فلم يفسر كلمة « نعق » وكتب اللغة تقول : نعق الراعي بغنمه ، صاح بها وزجرها .

ومن ملاحظاتي على الأصفهاني في كتابه « مفردات القرآن » أنه فـــي بعض الأحيان يفسر الكلمة بما هو أغرب منها ، كما فعل في مادة « صبر » فقد تحدث عن أنواع الصبر واختلاف أسمائه بحسب اختلاف مواقعه ، وقال فيما قال : وان كان في امساك الكلام سمي كتمانا ، ويضاده : المذل » . وترك الأصفهاني كلمة « المذل » دون تفسير ، مع أنها غريبة وتحتاج الى ايضاح ، والمذل هو افشاء السر . يقول القاموس : « مذل بسر — كنصر وعلم وكرم — مذلا ومذالا ، فهو مذل ومذيل : أفشاه » . فماذا على الأصفهاني رحمه الله لو أنه قال : « ويضاده افشاء السر » ؟ .

ويقرب من هذا ما فعله في مادة « قوى » حيث قال : سميت المفازة قواء ، وأقوى الرجل صار في قواء ، أي قفر » . ولو قال : « وسميت الصحراء قواء » لكان ذلك أسهل وأوضح .

وقد يفسر الأصفهاني الكلمة تفسيرا لا يقنع ، كأن يقول : « ان شجرة الزقوم عبارة عن أطعمة كريهة في النار » ، وهذا لا يقنع ، لأن القرآن أشعرنا بأنها شجرة . وابن الأثير يقول في كتابه « النهاية » ان الزقوم هي ما وصف الله في كتابه العزيز فقال : **« انها شجرة تخرج في أصل الجحيم ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين » .**

وكلمة « الزقوم » لم ترد في القرآن الا مقترنة بكلمة « الشجرة » ، فجاءت الآيـــة الماضية في سورة الصافات ، وجاء فـــي سورة الدخان : **« ان شجرة الزقوم طعام الأثيم » .** وجاء في سورة الواقعة : **« ثـــم انكم أيهـــا الضالون المكذبون ، لآكلون من شجر مـــن زقوم ، فمالئون منها البطون » .**

وفي مادة « دحا » قال الأصفهاني : « دحا : قال تعالى : **والأرض بعد ذلك دحاها »** ، أي أزالها عن مقرها » . وهذا غير مُسَلَّم به ، لأن كتب اللغة والتفسير تقول : دحا الله الأرض : بسطها وأوسعها . وجاء في كتاب « معجم ألفاظ القرآن الكريم»: « دحا الشيء يدحوه دحوا ، ويدحاه دحيا : بسطه ومهده ، ودحو الأرض : بسطها وتمهيدها للسكنى والتقلب في أقطارها » .

وفي مادة « عفا » نجد الأصفهاني يحاول في تكلف ومشقة أن يجعل معنى « العفو » دائرا في أغلب المواضع حول معنى « القصد » فيقول : « العفو : القصد لتناول الشيء ، يقال : عفاه واعتفاه ، أي قصده متناولا ما عنده ، وعفت الريح الدار : قصدتها متناولة آثارها ، وبهذا النظر قال الشاعر : أخذ البلى آياتها ، وعفت الدار : كأنها قصدت هي البلى ، وعفا النبت والشجر : قصد تناول الزيادة ، كقولك : أخذ النبت في الزيادة ، وعفوت عنه : قصدت ازالة ذنبه صارفا عنه » .

ولقد علق « معجم ألفاظ القرآن الكريم » على صنع الأصفهاني في هذه المادة بقوله في مادة « عفو » : « أدار الراغب في مفرداته المادة على معنى القصد ، في تكلف لا يسهل الاطمئنان اليه ، مع أن من الحس في هذه المادة : العفو والعفا : الأرض الغفل لم توطأ ولا أثر لأحد فيها بملك . وأرض عافية : لم يرع نبتها . والماء العافي : الذي لم يطـــأه شيء يكدره .

ومن هذه المعاني الحسية الموحدة الملحظ — ومن أشباه لها في الحيوان وغيره — تقال معان مادية واضحة القرب ، مثل : عفا النبت والشعر وغيره : كثر وطال . وعفا القوم : كثروا . ومن هذه العافية بمعنى السلامة ، كما يقال : العفو من المال : ما طاب وكثر ، وما فضل ولم يشق على صاحبه ... » الخ .

وفي مادة « نظر » يشير الى معنى النظر الى الله تعالى فيقول : « وأما قوله **« رب أرني أنظر اليك »** فشرحه وبحث حقائقه يختص بغير هذا الكتاب » . ودعوى الاختصاص التي ذكرها فيها نظر ، واذا كان الشرح لموضوع النظر الى الله لا يتسع له كتاب المفردات ، فقد كان من المناسب أن يذكر معنى هذا النظر بايجاز واختصار .

وثمة ملاحظات يمكن أن نلاحظها على صاحب « المفردات » ولكننا نخشى أن تطول صحبتنا معه ، وطول الصحبة قد يورث الملل ، فلندع مع الأصفهاني كما دعا في مطالع كتابه : « جعل الله لنا التوفيق رائدا ، والتقوى سائقا ، ونفعنا بما أولانا » ■

وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي

بقلم الدكتور محمد الامين طه

لــــ يعرف الشعر العربي في تاريخه الطويل بيئة حافلة بشتى ألوان الجمال ، ولا تربة خصبة للشعر والشعراء كالأندلس ، ذلك بما حباها الله من طبيعة فاتنة ، وخمائل جميلة ، وبحار وأنهار ، وجبال ووديان ، وجزر وخلجان ، وحقول فسيحة ، ورياض فيحاء ، وحدائق غناء ، وأزهار متفتحة ، وورود باسمة ، وأفنان غردة ، وهواء عطر عليل . فلا بدع أن يقول شاعرهم :

فــي أرض أندلس تلتذ نعماء ولا يفارق فيهـا القلب سراء
وكيف لا يبهج الأبصار رؤيتها وكل روض بها في الوشي صنعاء
أنهارها فضة ، والمسك تربتها والخز روضتها والـدر حصباء
لذاك يبسم فيها الزهر من طرب والطير يشدو ولـلأغصان اصغاء

واذا كان الوصف قد احتل من الشعر العربي منذ أقدم عصوره مكانة مرموقة لتنوعه واتساع جوانبه فقد أولع به شعراء الأندلس ولعا كبيرا حتى أصبحت مكانته في قصائدهم تعدل مكانة النسيب أو التشبيب لدى شعراء المشرق وذلك لروعة ما تقع عليه أعين الأندلسيين .

واذا كانت البيئة الأندلسية تزخر بالصور والألوان ، فقد كان أمرا طبيعيا أن يتميز شعراء الأندلس بالنظرة المتأنية والتصوير الدقيق على نحو يفوقون فيه شعراء المشرق ، لأن الشاعر اذا ازدحمت أمامه الصور وتنوعت الألوان لم يكن من السهل أن يعرض ذلك في لوحة شعرية رائعة الا اذا كان قد استوعب أجزاءها بمشاعره وأحاسيسه استيعابا دقيقا . والأندلسيون دون شك أقدر الناس على التصوير والتعبير . يحدثنا عنهم المقري فيقول : « انهم اذا ذكروا روضا سمعت حفيف أغصانه ، وشممت شميم ريحانه ، وتناولت جنى ثمره ، وأبصرت ناضر زهره ، وان وصفوا بحرا أروك اضطرابه ، وركبوا بك عبابه ، وأسمعوك نجي حيتانه ، وكشفوا لك عن دره وجمانه ... »

ويقول الحجازي في المسهب : « والأندلسيون أشعر الناس فيما كثره الله تعالى في بلادهم وجعله نصب أعينهم من الأشجار والأنهار والطيور ، لا ينازعهم أحد في هذا الشأن .. فاذا صفق للماء خرير ، أو رجع بم وزير ، أورقت العشية ، وخلعت السحب ابرادها الفضية والذهبية ، أو تبسم عن شعاع ثغر نهر ، أو ترقرق بطل جفن زهر ، أو خفق بارق ، أو وصل طيف طارق أو أزهرت دوحة السماء بزهر كواكبها ، أو قوضت عند فيض نهر الصباح بيض مضاربها — فأولئك هم السابقون ، الذين لا يجارون ولا يلحقون . وليسوا بالمقصرين في الوصف اذا تقعقع السلاح ، وسالت خلجان الصوارم بين قضبان الرماح ، وبنت الحرب من العجاج سماء ، واطلعت شبه النجوم أسنة وأجرت شبه الشفق دماء ... وبالجملة فانهم في جميع الأوصاف والتخيلات أئمة .. »

وهكذا يتبين لنا الى أي مدى برع الأندلسيون في الوصف فصوروا مظاهر البيئة من أبنية وقصور وثمار وأزهار ونواعير وبرك ومجالس طرب ، كما وصفوا الحروب والأساطيل والحصون والوقائع وغيرها .

بيد أن الأندلسيين اذا كانوا قد برعوا في الوصف عامة ، فان براعتهم في وصف الطبيعة لا تجارى . ويعتبر « أبو اسحاق ابراهيم بن خفاجة » فارس هذا المضمار في نظر كثير من مؤرخي الأدب الأندلسي . فمن روائع ما روي في وصف الليل والذئب قوله :

ومفازة لا نجم في ظلمائها يسري ولا فلك بها دوار
تتلهب الشعرى بها وكأنها في كف زنجي الدجى دينار
ترمي بي الغيطان فيها والربى دولا كما يتموج التيار
قد لفني فيها الظلام وطاف بي ذئب يلم مع الدجى زوار
طراق ساحات الديار مغاور ختال أبناء السرى غدار
يسري وقد نضح الندى وجه الصبا في فروة قد مسها اقشعرار
فعشوت في ظلماء لم تقدح بها الا لمقلته وبأسي نار
والليل يقصر خطوه ولربما طالت لبالي الركب وهي قصار
قد شاب من طوق المجرة مفرق فيها ومن خط الهلال عذار

وتتجلى روعة الأبيات في جزالة العبارات ورقة الكلمات وانسجام القوافي وبراعة التصوير ويسر الاداء. فالشاعر يرى ليلته غدافية الاهاب قد غارت نجومها، وما أكثر ما تختفي النجوم في سماء الأندلس وراء السحب التي لا تكاد تريم. واذا كانت النجوم قد غارت فقد خلفت وراءها في يد زنجي الليل دينارا ملتهبا هو الشعرى. وان يكن الظلام قد بعث الرهبة في نفس الساري فقد ضاعف من رهبته أن طاف به مع الدجى ذئب. وهكذا أكمل الشاعر الصورة التي تعرض لمن يقطع في الظلماء مفازة. ولقاءات الشعراء مع الذئاب في الصحاري مألوفة، فقد التقى الفرزدق مع الذئب في الصحراء ليلا وقاسمه زاده. والتقى البحتري مع الذئب نهارا فسدد اليه سهمه ثم جمع الحصى فاشتواه عليه. واذا كان ابن خفاجة قد استمد الفكرة من الشاعرين فقد أحسن صياغتها، وطبعها بطابع البيئة التي تشيع فيها الغيطان والربى ويترامى الذئب مغرورا قد مس فروته اقشعرار. ونحسب أن ابن خفاجة لو أن ليلته لم تكن غائرة النجوم لجاءنا في تصويرها كذلك بالمطرب المبدع، ولما قصر عن شأو المعري في قوله:

ليلتي هذه عروس من الزنـ ـج عليها قلائد من جمان

هذا وروائع ابن خفاجة في وصف مفاتن الطبيعة الأندلسية ومظاهر بهائها لا يكاد يفي بعرضها مقال واحد. وحسبنا أن نقدم للقارىء أبياته التالية حيث يصف مجلس أنس تقوم عليه أراكة تنساب جداول الماء من حولها فيقول:

حفت بدوحتها مجرة جدول نثرت عليه نجومها الأزهار
فكأنها وكأن جدول مائها حسناء شد بخصرها زنار
في روضة جنح الدجى ظل لها وتجسمت نورا بها الأنوار
غناء ينشر وشيه البزّاز لي فيها ويفتق مسكه العطار
قام الغناء بها وقد نضح الندى وجه الثرى واستيقظ النوار
والماء في حلي الحباب مقلد زرت عليه جيوبها الأشجار

والرسام الماهر الذي يريد أن يقدم لنا لوحة يصور فيها مجلس سمر لن يجد في ذلك عنتا وهو يستمد ألوانه من الصور الشعرية التي يعرضها ابن خفاجة بين يديه على نحو يبرز المنظر أمامه وكأنه يشاهده بعينيه، وليس عليه بعد الا أن يضع الخطوط ويوزع الألوان ويحقق الانسجام بين خطوطه وألوانه.. وابن خفاجة بما أوتي من حس مرهف وشعور دقيق قادر على رسم الطبيعة. ومادته في ذلك هي الكلمة الشاعرة والخيال الخصيب المبتكر.

واذا جاوزنا ابن خفاجة الى غيره من شعراء الأندلس فاننا نجد وصف الطبيعة لا يخلو منه ديوان شاعر. وها هو ذا أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي يصف السوسن فيقول:

سوسن كالسوالف البيض لاحت لمحب متيم من حبيب
قد أعارت عيوننا كل حسن وأعارت أنوفنا كل طيب
بعضها عاشق لبعض فبعض لمحب والبعض للمحبوب
فالحبيب المبيض منها اذا اصفر سواه اصفرار صب كئيب
لهما ثالث أناف كواش قام يحكي هواهما كالخطيب
فهما وهو في جميع المعاني كحبيب وعاشق ورقيب

واذا أعوز الرمادي هنا أن يورد لنا صورة في العبارة الأنيقة على نحو مماثل أو مقارب لابن خفاجة فلم يعوزه أن يجمع في السوسن العاشق الذي دلهه الحب فكساه اصفرارا، والحبيب الذي يملأ عين عاشقه حسنا ورواء، والرقيب الذي ينفس على أهل الغرام حبهم فيشي بهم. ولو أن الشاعر سلم له بناء الأبيات وتجافى عن تكرار الكلمات لاستقامت له الصور وظفرت بنصيب لا ينكر من الطرافة والجدة.

ولذلك نجد «أبا عمر أحمد بن دراج القسطلي» أكثر اجادة وأدق تصويرا في وصف السوسن من الرمادي على الرغم من توافر ابن دراج على شعر المدح وندرة ورود الوصف في شعره فيما عدا وصف المعارك وما اتصل بها. ويقول ابن دراج:

ان كان وجه الربيع مبتسما فالسوسن المجتلى ثناياه
يا حسن سن ضاحك عبق بطيب ريح الحبيب رياه
خاف عليه الحسود عاشقه فاشتق من ضده فسماه
وهو اذا مغرم تنسمه خلى على الأنف منه سيماه
كما يخلي الحبيب غالية في عارضي الفه لذكراه

ومع أن ابن دراج كما نرى قد استمد الفكرة من المعين نفسه الذي استمد منه الرمادي ، بمعنى أنه جعل للسوسن عاشقا يغار عليه الا أنه لم يسرف في تجزئة الصورة فيقع في تكرار الألفاظ مثلما فعل الرمادي الذي كرر كلمة « بعض » أربع مرات في بيت واحد كما رأينا آنفا . على أننا نأخذ على ابن دراج جنوحه الى الألغاز في قوله : « فاشتق من ضده فسماه » ذلك لأن الالغاز من شأنه أن يحيل الصورة الشعرية الى عمل ذهني بحت يغض من قيمتها وينقص من جمالها ، والصور الشعرية يقوم جمالها على الانطلاق ويتأبى على القيود . ومما أبدع فيه الأندلسيون غاية الابداع ، وصف مجالس الأنس والسمر ، وفي طليعتهم العالم الأديب أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوس الذي بلغ الغاية في دقة التصوير حينما يصف مجلس أنس شهده مع الظافر عبد الرحمن بن ذي النون فيقول :

ومجلس جم الملاهي أزهرا ... ألذ في الأجفان من طعم الكرى
لم تر عيني مثله ولا ترى ... أنفس في نفس وأبهى منظرا
اذا تراءى وشيه المصورا ... من حوك صنعاء وحوك عبقرا
ونسج قرقوب ونسج تسترا ... خلت الربيع الطلق فيه نورا
كأنما الابريق حين قرقرا ... قد أم لثم الكأس حين فغرا
وحشية ظلت تناغي جوذرا ... ترضعه الدر وترنو حذرا
كأنما مج عقيقا أحمرا ... أو فت من رياه مسكا أذفرا

وقد أجاد ابن السيد في الحديث عن روعة المنظر في العين اذ جعله ألذ من طعم الكرى . فالعين التي يأخذ الكرى بمعاقد أجفانها تكون في متعة لا تعدلها متعة أخرى ، فاذا ما صور ابن السيد هذا المجلس بأنه أمتع للعين من طعم النوم فقد أحسن كل الاحسان . وهكذا يتتبع كل ما في المجلس من مفاتن فيصورها في دقة تعجز عنها ريشة الرسام ... وأنى لريشة الرسام أن تصور قرقرة الابريق ، أو فتيت المسك الأذفر وعبق المجلس به !! ولا غرابة في ذلك فابن السيد يكاد يكون أقدر شعراء الأندلس على تصوير الحركة ، بما توافر له من حس مرهف ، وادراك واع وقلب شاعر ، وتملك لزمام اللغة .

. وممن اشتهر بوصف الطبيعة من الأندلسيين أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن زمرك الذي كان يقوم في غرناطة مقام ابن خفاجة في شقر ، والذي يقولون عنه ان شعره يتضوع بأنفاس الحب العذري . يقول «ابن زمرك» في وصف قنديل مضاء :

لقد زادني وجدا وأغرى بي الجوى ... ذبال بأذيال الظلام قد التفا
يلوح سنانا حين لا تنفح الصبا ... ويبدي سوارا حين تثني له العطفا
قطعت به ليلا يطارحني الجوى ... فآونة يبدو وآونة يخفى
اذا قلت لا يبدو أشال لسانه ... وان قلت لا يخبو الضياء به كفا
الى أن أفاق الصبح من غمرة الدجى ... وأهدى نسيم الروض من طيبه عرفا
لك الله يا اصباح أشبهت مهجتي ... وقد شفها من لوعة الحب ما شفا

ووصف القنديل هنا يترجم عن أعماق الشاعر وأحاسيسه حتى ليخيل للقارىء أن حركة الذبال انما هي خفقات قلب الشاعر ، وأن اختفاءها وظهورها ليس الا وقدة الجوى في جوانحه حدة وخفوتا :

والشاعر دقيق النظرة الى الذبال ، فهو يرى استقامته سنانا ، وتعطفه سوارا ، وانبعاث أشعته تعلقا « بأذيال الظلام » . والصباح بعد كامن في أحشاء الليل ، مغف في غمرة الدجى ، فاذا ما أفاق من سباته خبأ ضوء الذبال ، وانقطعت مطارحة الجوى بين الشاعر وليله .

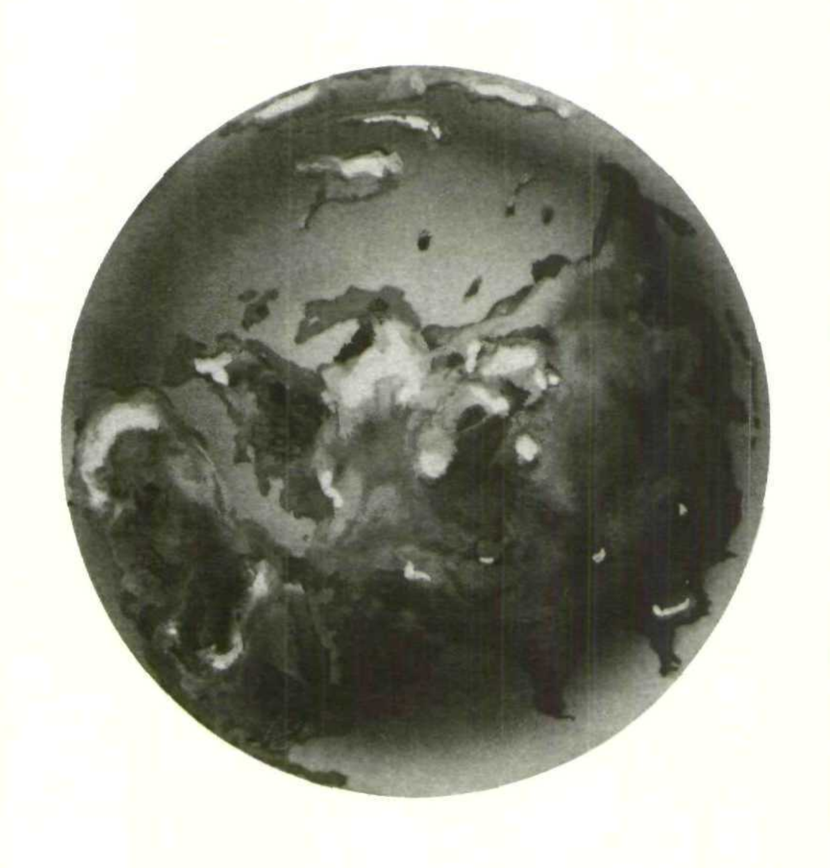
والحديث عن الذبال والليل يسوقنا الى الوقوف على أبيات رائعة لأبي الفضل البرجي الشاعر الفيلسوف في وصف الليل فيقول فيها :

مطل الليل بوعد الفلق ... وتشكي النجم طول الأرق
ضربت ريح الصبا مسك الدجى ... فاستفاد الروض طيب العبق
وألاح الفجر خدا خجلا ... حال من رشح الندى في عرق
جاوز الليل الى أنجمه ... فتساقطن سقوط الورق

ولقد أبدع الشاعر أيما ابداع في الحديث عن طول الليل وتصويره بأنه مطل لوعد الفلق ، ولا يخفى ما في المطل من المجاهدة النفسية والمعاناة الشعورية لمن يتعلق أمله بوعد يتوقع الايفاء به.. والشاعر قد أجاد أيضا في ترجمته طول الليل في صورة الأرق الذي قد طال بالنجم فهو يشكو ثقله . والصورتان كلتاهما تعبير جميل عن طول الليل قلما نجدهما في بيت واحد لدى شاعر غيره . وتسير الصور في الأبيات الثلاثة الأخرى سيرا طبيعيا ، فهي وان تك مما ألف الشعراء الآخرون أن يجيئوا بمثله عندما يعرضون لوصف الليل ، الا أن أبا الفضل البرجي أضفى عليها من صدق التجربة الشعرية وسلاسة العبارة ما جعلها تبدو أكثر رواء وأرق تصويرا .

واذا كان شعراء الأندلس قد أجادوا في وصف الطبيعة وبرعوا في تصوير مفاتنها ، فانهم أيضا قد أكثروا من وصف المعارك الحربية والأسلحة وأنواعها المختلفة وبلغوا في هذا المضمار شأوا بعيدا . وفي طليعة هؤلاء « أحمد بن عبد ربه » ، و « أبو القاسم محمد بن هانيء » ، و « ابن خفاجة » ■

مُلْكُ الإنسَانِ على الأرض



بقلم الدكتور فؤاد صروف

يغشى الكوكب الأرضي ، الذي أقام البشر عليه عمرانهم في أدواره المتعاقبة ، غشاء رقيق من المادّة الحية ، تتباين أشكالها وتتعدّد ، من أدنى الأحياء النباتية وأبسطها تركيبا ، الى الانسان ، ذروة الأحياء . وقد بلغ هذا الغشاء من الرقة ، بالقياس الكوكبي ، مبلغا لا يكاد يصدقه العقل عندما يرى الى تعدّد طوائف الأحياء ، وأعدادها . فهو لا يكاد يبلغ جزءا من بليون (ألف مليون) (١) جزء ، من زنة الكوكب الأرضي . ومع ذلك فهذا الغشاء الحيّ لم يزل ملازما سطح الأرض ، منذ مئات الملايين من السنين ، وهو على طراوته ورهافة احساسه بالأحوال الطبيعية التي تحيط به ، حتى ليكفيه تغيرات كونية غير كبيرة ، كزيادة الحرارة أو نقصها ، لترديه ، فانه ظلّ في أدوار تطوّره المتعاقبة ، يشغل سطح الأرض خلال دهور متطاولة ، تتضاءل حيالها أزمنة الجبال الراسية . ومع أن هذا الغشاء مستمرّ ، فان أنواع الأحياء في اطاره تتباين ، فتنشأ وتزخر وتندثر ، فتعقبها أنواع أخرى ، أصلح للبقاء في الأحوال المتغيّرة . فالحياة على الأرض تيار لا ينقطع من الولادة والموت ، لا للأفراد وحسب ، بل ولجماعات الأحياء أيضا . فقد قامت هذه الجماعات بتأثير العوامل الطبيعية والحيوية ، واتخذت لذاتها مكانة ، خلال زمن ما ، في نظام الحياة على الأرض ، منتفعة بما يؤاتيها وبما تستطيع الانتفاع به ، من القوى والموارد ، حتى اذا أصبحت عاجزة عن التطوّر والتقدم ، اللذين يلائمان بينها وبين محيطها المتبدل ، قرّت على جمود وضعف ، أو دالت دولتها فانقرضت .

وتاريخ الأرض كما استكشفه علماؤها ، حافل بآثار أنواع من الأحياء ، نشأت مزوّدة بقدرات توائم بينها وبين محيطها ، فعزّت وسادت ، ثم بعد زمن طاف بها طائف الزوال ، اما لأن أنواعا جديدة برزت الى الوجود ، كانت أقدر منها على مواجهة الأحوال المتغيّرة ، فحلّت الجديدة محلّ القديمة ، واما لأن الأنواع القديمة بلغت من التخصّص الضيق في نمط ما من العيش مبلغا أعجزها عن التطور والملاءمة ، فلما زال هذا النمط ، وعجزت عن الملاءمة للنمط الجديد ، زالت هي أيضا .

بين الأنواع التي لا عداد لها من طوائف الأحياء ، يعدّ الانسان أحدثها ظهورا على مسرح التطوّر ، وذروتها من حيث هو نوع غالب سائد .

(١) البليون في الولايات المتحدة وفرنسا ألف مليون ، وفي انكلترا مليون مليون .

فقد ظهر الانسان في هذا الغشاء الحيوي مزوّدا بخصائص تتصف بها الحيوانات الثديية أو « اللبونة » ، ولكنه أضاف ، خلال تطوّره ، الى هذه الخصائص المركّبة في طبيعته البيولوجية ، قدرته على الفكر التجريدي ، (Conceptual thought) (٢) وبفضل هذه القدرة ، صار نوعا غالبا ، سائدا ، من أنواع الأحياء ، منذ زمن يعدّ كاللمحة الخاطفة بالقياس الى زمن وجود المادة الحية في مياه الأرض وعلى يابستها . وما أن دانت له هذه الغلبة ، حتى أخذت أعداده تتزايد من عشرة ملايين الى ألوف الملايين (يقدّر عدد سكان الأرض من الناس اليوم بثلاثة بلايين ونصف بليون) خلال سبعة آلاف الى ثمانية آلاف سنة .

ومن هنا كان لنا أن نسأل : الى أي مدى يمضي الانسان في امتطاء هذا المدّ المتعالي من القدرة والعدد ؟ والى أي حدّ يمكن أن تبلغ الزيادة قبل أن يبدأ النقصان ؟ هل يستطيع الانسان في تطوّره وتزايده ، أن يبلغ حدّا من التوازن ، يتيح له أن يعيش في انسجام مع محيطه أو بيئته ، والى متى يظلّ قادرا على التحكم في مصيره ؟ أيستطيع أن يصون بارادته وفكره ، العلاقة بين البشر وبيئتهم وأن يطوّرها ؟ أو هو ماض بقدرة قاهرة في علاقته بالغشاء الحيوي الى مصير لا يردّ ؟

أسئلة تدخل في الصميم من قضايا العمران البشري في العقود المقبلة من السنين ، ومنذ عشر سنوات ، أصدر الفيلسوف « برتراند رسل » كتابا جعل عنوانه « أللانسان مستقبل ؟ » وقد أفرغ في هذا العنوان — السؤال ، ما يساوره من القلق على مستقبل الانسان ، واسترابته به . وليست هذه الاسترابة بمستقبل الانسان ، أو مصير حياته على الأرض ، بالشيء العجب ، بل الضدّ هو العجب ، فلا يكاد يمرّ يوم لا نقرأ فيه أقوالا مسندة الى أقطاب علوم الأرض ، والحياة ، والاجتماع توحي بالقلق على هذا المستقبل ، وبخاصّة عندما يتحدثون عن الطاقة النووية المدمّرة ، والتلوّث النووي للحياة وجبلتها المنجبة ، وتفاقم عدد السكان على الأرض حتى لتعجز عن الاتساع لهم ، وانتهاب الموارد الطبيعية حتى ليخشى نفادها ، وافساد المحيط الحيوي ، الذي جعلته الحياة في حكمة تجلّيها مشاركة متوازنة بين الأحياء من التفاعل والتعايش . فاذا انقلب الميزان ، ولم يرتدّ بذاته ، الى نصابه ، غلبت الخشية أن تتألب جميع هذه العوامل على الانسان وعمرانه ، فتنتهي بهما ان لم تدمّرهما ، الى عواقب ليس أوخمها الردة الى نهج من الحياة يتصف بالعسر والمرض والاضطراب . فمصير حياة الانسان على الأرض مرتهن اليوم بأمرين عسيرين : أولهما ، ادراك طبيعة المشكلات العاتية التي يواجهها الآن ، أو هي خليقة أن تتبدّى له في المستقبل ، وهي مشكلات خلق معظمها بنفسه في تطلعه وسعيه ، وثانيهما ، أن يجد لها القواعد والمناهج التي يرتضيها المجتمع البشري لمجابهتها ويمضي في حزم واستنارة على هديها .

وعلى ما في الانسان من ضعف وأثرة ، ورغبة في السلطان تفسد عليه الحكم السليم على الأمور ، فان النزعات القوية المركبة في كيانه الطبيعي والفكري والاجتماعي ، والتي وفقته في أظلم العصور الى التربية والعلم ، والزرع والصنع والتشييد ، والتعبير تعبيرا فنيّا عمّا يخالجه في روائع الآداب والفنون ، وما تجلّى فيه زمنا بعد زمن ، من ذكاء وخيال واقدام ومثابرة وقدرة متعاظمة على التحكم ببيئته ، مكنته على مر الزمان من التغلّب على كثير مما اعتور سبيل نهوضه من مراتب حيوانيته الأولى الى العصر العلمي التقني الذي ننعم بمزايا حضارته وننقم عليها مساوئها — هذه جميعا خليقة ، في أحوال معيّنة يستطيع العقل أن يحدّدها ، بأن تخرجه من ظلام النفق الطويل الذي يسير فيه اليوم الى مطارح الضياء ، أو هذا على الأقل ، هو معقد الرجاء.

بيد أن الانسان ، مهما يبلغ من سعة العلم ودقة الفهم وحسن النية وصلابة الارادة وعمق الايمان بالقيم العليا التي توارثها ، فان ذلك كله لن يجديه شيئا ما ان لم تظل الأرض نفسها من حيث هي مثواه في عباب هذا الكون كوكبا تتوافر فيه جميع مقومات الحياة والعيش . فليس في كواكب المجموعة الشمسية ، كوكب آخر غير الأرض ، تتوافر فيه جميع الأحوال الطبيعية المؤاتية للحياة البشرية ، (حتى ولا للأجسام الحية الأخرى ، سوى أدنى درجات الأحياء النباتية على سطح المريخ ، كما يظنّ) . واذن فالبحث في « حياة الانسان على الأرض » يقتضينا أن ننظر أولا ، في مستقبل الأرض من حيث هي كوكب في النظام الشمسي ، تتوافر فيه هذه الأحوال .

وقد تراكم بين أيدي علماء الفلك ، وعلماء الفيزياء الفلكية أو الفلك الفيزيائي — (Astrophysics) قدر من الأدلة المستمدّة من الأرصاد والبحوث ، على أن كل ظاهرة من ظاهرات النشاط والحياة على سطح الأرض ، مردّها (اذا استثنينا الطاقة النووية) الى الطاقة الشمسية . وهذه الطاقة الهائلة التي يتلقى سطح الأرض قدرا يسيرا جدا منها ولكنه قدر كاف بالقياس الى الأرض ، هي سرّ الحياة على الأرض . بها نستضيء ونستدفيء وبها يتبخر الماء ويتحرك الهواء ويجاري الاستضاءة والاستدفاء والدورة المائية ، حصول فعل التركيب الضوئي على اليابسة وفي البحار ، فتصنع بحصوله مقومات الحياة على الأرض . فالنبات يستعين بطاقة ضوء الشمس ، وحبيبات اليخضور « كلوروفيل » فيركب المواد السكرية الأولى من الماء وثاني أكسيد الكربون في الهواء ، وهذه المواد هي المصدر الأول لكل طعام ، اذ هي تستحيل على مراحل متوالية من التركيب المطّرد تعقّدا ، الى نشاء وسلولوس ولحم ودهن وغيرها ، ومن هذه المركبات العضوية ، تكونت في الماضي السحيق الأشجار والحيوانات الدقيقة ، ومنها ، بعد أن طمرت في الأرض ، وبعد أن مرّت عليها عصور متطاولة من الحرارة والضغط والتفاعل ، تكونت المواد التي نستخرج منها القدر الأعظم من الطاقة التي نستهلكها اليوم — أي الفحم والنفط والغاز الطبيعي .

وقد بذل العلماء جهدا ضخما ودقيقا لقياس حرارة الشمس ، فانتهوا الى انها تبلغ على سطحها ستة آلاف درجة مئوية وفي قلبها عشرين مليون درجة مئوية .

هذه الحرارة العالية ، واستمرارها زمنا طويلا تحتاج الى تفسير ، وعملية الاحتراق الكيمائي لا تفسرها ، لأنه لو كانت الشمس مصنوعة من فحم خالص ، وبدأت تحترق كما يحترق الفحم ، لأصبحت رمادا باردا في أربعة آلاف او خمسة آلاف سنة ، مع أن جميع الدلائل المتخذة من التطور العضوي وقياس الاشعاع في الصخور ونظريات التطوّر الكوني ، تجمع الآن على أن عمر الشمس يقع بين أربعة آلاف وخمسة آلاف مليون سنة .

والتفسير الذي انتهوا اليه وقبلوه ، يختصر في أن الشمس فرن أو مفاعل نووي تتحوّل فيه أربعة بروتونات « نوى ذرّات الهيدروجين المألوف » الى نواة هليوم ، بوساطة الكربون والنتروجين في سلسلة من التفاعلات ، ويتحول الفرق بين كتلة البروتونات الأربعة وكتلة نواة الهليوم ، الى طاقة اشعاع وفقا لمعادلة « اينشتين » : **الطاقة تعدل الكتلة مضروبة بمربع سرعة الضوء .** وبذلك صار في الوسع تفسير هذا المقدار الهائل من الطاقة

(٢) القدرة على تصور مفهوم أو فكرة في الذهن وهو من فعل (Conceive) المرتد الى اللاتينية (Concipio) ومن هنا كان له معنى آخر في اللغة الانكليزية وهو بدء الحمل في الرحم .

الذي تطلقه الشمس ، والذي ما زالت تطلقه منذ ألوف الملايين من السنين دون أن يعتور كتلتها نقص يذكر . وعلى ذلك يمكن القول أن الشمس خليقة أن تمضي على حالها من اطلاق الاشعاع ، الذي تصيب منه الأرض مقدارا كافيا لاقامة أود الحياة عليها بضعة بلايين أخرى من السنين .

وهنا نواجه سؤالا آخر : أثمة احتمال ما بأن تخرج الشمس عن هذا الحدّ السوي من الاشعاع الذي لم تزل عليه منذ زمن موغل في القدم ، باصطدام يقع بينها وبين جرم سموي آخر ؟ والجواب عنه ، أن الاحتمال بعيد بعدا شاسعا لطول المسافات التي تفصل الشموس في مجرتها بعضها عن بعض . فأقرب نجم الينا يبعد عنا أربع سنوات وربع سنة ضوئية وهو يعدل أكثر من أربعين مليون مليون كيلومتر ، وسائر الأجرام أبعد من ذلك كثيرا .

ولكن ثمة احتمال واحد قد يحرف الشمس عن حدّها السوي ، وهو حدوث انفجار فيها يحيلها الى ذلك الطراز من النجوم المعروف بالنجوم الجديدة الضخام « سوبر نوفي — Super novae » . وفي تاريخ علم الفلك منذ القرون الوسطى ما يشير الى مشاهدة نجوم تتفجر على هذا المنوال . فلو حصل ذلك لنجم ما ، ازداد مقدار اشعاعه ازديادا عظيما خلال فترة قصيرة ، وفي هذه الحالة ، اذا وقع ذلك للشمس ، تبخّرت الأرض وما عليها . فاذا حسب احتمال حدوث مثل هذا الحدث للشمس تبين انه احتمال ضئيل جدا على أساس الاحصاء. ولكن هذا التقدير الذي يبعد بالشمس عن مثل هذا الحدث ، على أساس الاحصاء ، لا يمنع أن تكون الشمس فلتة الاحصاء فتنفجر ، ويكون من عاقبة انفجارها ما يكون .

واذن ففي الوسع أن نطمئن اطمئنانا كبيرا الى بقاء الأرض ، من حيث صلتها بالشمس ، مثوى صالحا للحياة زمنا يقاس بمئات الملايين من السنين أو ألوفها . ولكن هذا لا يضمن بقاء سطح الأرض تماما على ما هو عليه الآن . وفي تاريخ الأرض الجيولوجي ما يشير الى تقلب غير يسير في شكل قشرتها وفي توزيع المياه واليابسة على سطحها ، واختلاف درجات الرطوبة في هوائها ، وقد مرّت عليها عصور اشتدّ فيها البرد وزحف الجليد جنوبا من المنطقة القطبية الشمالية . فاذا حدث حادث خفض حرارة الأرض بمعدل بضع درجات مئوية ، وبقيت على ذلك آلافا من السنين أو أقل ، فمن المحتمل أن نعود الى حالة يغطي فيها الجليد جانبا كبيرا من البلدان الشمالية . والعكس قد يقع أيضا ، فذوبان الجليد في منطقتي القطبين ، اذا ارتفعت حرارة الغلاف الهوائي للأرض ، يفضي الى رفع مستوى المياه في المحيطات والبحار ، فاذا بلغ هذا الارتفاع خمسين قدما أو ستين ، غمر عددا كبيرا من المدن الساحلية التي لا يزيد ارتفاعها على هذا المعدل . بيد أن العالم « غامو » يرى ، في كتابه « سيرة الأرض » أن الأحوال التي قد تفضي الى تغطية أميركا الشمالية وأوروبا بطبقة كثيفة من الجليد غير خليقة أن تتوافر قبل ٥٠ ألف سنة . (الا اذا ارتكب الانسان حماقة قد تنتهي اليها) .

ومع ذلك فاننا عندما ننظر في مستقبل الانسان على الأرض ، نتجه في تفكيرنا أكثر ما نتجه الى الحاح المشكلات الاجتماعية خلال بضعة عقود أو قرون مقبلة على الأكثر ، وقد نقع بأقل من ذلك ، وقل أن يتجه الى الملايين أو ألوف الملايين من السنين أو حتى الى مئات ألوفها . وفي هذه الحدود يصح القول أن **مستقبل الانسان على الأرض** من حيث الأحوال الطبيعية التي تؤاتي الحياة والعيش ، ليست عرضة لخطر يذكر .

في كل خطوة خطاها التطوّر العضوي المديد تمّ لنوع أو آخر من الأحياء ، اجتماع مزايا حيوية في تركيبه جعلته نوعا غالبا الى زمن ، فيتكاثر ويتفرع وتتباين ضروبه بعضها عن بعض ، حتى يتم لواحد منها أن تجتمع فيه مزايا جديدة يتغلب بها ، في سبيل البقاء ، على الضروب أو الأنواع الأخرى. فقيام الحيوانات الثديية المشيمية ، تمّ على حساب الزواحف الأرضية ، ونهضة الطير تمّ على حساب « التيروسور » (٣) الذي كان ذا سيطرة على الهواء . وقد يتم التطوّر البيولوجي ، في بيئة جديدة ، فتكون الجماعة الغالبة في البيئة الجديدة ، غير منازعة لجماعة أو جماعات أخرى في بيئة قديمة ، فيحصل التعايش بين الجماعتين . فقيام الفقريات الأرضية ، لم يفض الى انقراض أنواع الأسماك من ذوات الفقار العظام في البحار . وتاريخ التطوّر العضوي على الأرض يشير الى أن استتباب الأمر لنوع غالب ، أو لجماعة غالبة ، يميل الى الاستمرار زمنا طويلا . فالزواحف ظلّت زواحف قرابة ربع بليون سنة ، ونحن لا نزال نرى ، ونعاني ، ضروبا منها الى يوم الناس هذا ، أمثال الأفاعي على أنواعها والسلاحف البرية والعظايا ، وليس باليسير على الحياة في تطوّرها أن تتغلب على هذا الاستمرار ، وأن تكسر حلقته فجأة ، بتنشئة أنواع جديدة ذات مزايا مجتمعة تمكنها من الغلبة والانطلاق منطلقا جديدا . ومن هنا ندرة هذه الفترات في تاريخ التطوّر العضوي ، وعظم شأنها .

ثم ان الانطلاق منطلقا جديدا ، لا يتم في طرفة عين ، بل تبدر بوادره خلال زمن طويل ثم تعينه تحسينات حيوية متعددة خلال دهر طويل آخر ، الى أن يتم اجتماع عدد من المزايا الجديدة التي تنتهي الى الاندماج في ضرب جديد غالب .

ومنذ أن أصبح الانسان نوعا غالبا حقا ، صار بما كشف وصنع قادرا على التحكم بكثير من عوامل البيئة التي يعيش فيها ، من مفاوز الجمد الى الصحاري والأدغال . ومن هنا غدا تطوّره الثقافي الاجتماعي أفعل في مستقبله من تطوّره البيولوجي . وهو ، الى ذلك ، لا يزال في بدء الفترة التي قبض فيها على زمام الغلبة على الأحياء الأخرى ، بفضل مزاياه الكثيرة وبخاصة عقله . واذن فليس ثمه ما يمنع القول أن مستقبل الانسان على الأرض ، من حيث هو نوع من أنواع الأحياء ، ممتد أمامه امتدادا طويلا ، ان هو لم يقض على نفسه بيده ، **تفجيرا** نوويا ينتهي الى هلاك جماعي أو الى تلويث جبلته المنجبة بعوامل تردّيها ، أو تكاثرا بشريا متفاقما حتى لا يبقى على سطح الأرض مكان الا لواقف(٤) ، أو **انتهابا** لموارد طبيعية تكوّنت على مدى العصور السحيقة ، حتى اذا نفدت — ولم تحلّ الأعواض محلها — استحال تجديد مصادرها ، أو **اقلاقا** لميزان الطبيعة الحية ذاتها اقلاقا أساسيا مرديا ، تستحيل معه عودة الميزان الى نصابه ، أو **افسادا** للغلاف الأرضي الذي تطورت فيه الأحياء على الدهور ، بما يقذفه فيها من فضول صناعته ومدنيته .

وهذه الاعتبارات ، مفردة ومجتمعة ، هي منشأ فضايا العمران البشري في الثلث الأخير من القرن العشرين وما يليه . ومن هنا قول السر « ماكفارلين برنيت » قسيم السر « بيتر مدوّر » في جائزة نوبل الطبية عام ١٩٦٠ : « ثمة ثلاثة لا مناص منها — خفض الحرب الى أدنى حدّ مستطاع ، اقرار سكان الأرض على مستوى مقبول ، منع التدمير المطّرد لموارد الأرض التي لا تعوّض » . ■

---

(٣) (Pterosaurs) الزحافات الطائرة .

(٤) قدر تياري مولنييه ، عضو الأكاديمية الفرنسية ، انه اذا مضى تكاثر السكان ، على المعدل القائم الآن ، بلغ عددهم في عام ٣٠٠٠ مبلغا يجعل سطح اليابسة ، عشرة سنتمترات مربعة لكل انسان .

المؤذن

للشاعر عدنان مردم بك

هاجَ للنفسِ تباريحَ شجاها   ونفى عن مقلتَي طيبَ كراها
كَبّرَ اللهَ فشاعتْ نشوةٌ   في السما رَدّدتِ الأرضُ صداها
نغمٌ حلوٌ تعالى داوياً   فأعارته الدنى السمعَ انتباها
ذُعر الليلُ له فانتثرتْ   بدداً أسدافُهُ مما دهاها
وهوتْ ناكسةً أعلامُهُ   حينما الفجرُ عن الأفق طواها

قامَ والظلماءُ لُجٌ صاخبٌ   جاشَ ملء الأرضِ اعجاباً وتاها
وكأنّ الأفقَ عينٌ أغمضتْ   تحت سترِ الليل تستوحي مناها
أيّ سحرٍ نفثَ الداعي الذي   هبّ في جنح الدجى يدعو الإلها
التسابيحُ التي رَدّدَهَا   في الدجى فاح مع الصبح شذاها
فتنَ الدنيا فهبّتْ تبتغي   من غمارِ الناس ثأراً في هواها
كشفتْ للناس عن فتنتها   حينما صاغَ لها الفجرُ حلاها
وبدتْ كاسيةً عاريةً   تخلب الألبابَ في زاهي صباها

هاجَ بي شجواً قديماً لحنُهُ   خلته النارَ وقد شبّ لظاها
كشف الوجد الذي ساورني   لهبُهُ عن ظلمةٍ طال دجاها
وجلتْ نارُ الهوى عن ناظري   حجب الشكّ وعن عيني قذاها
فرأيتُ الحقَ بالعين التي   أنزف الشوقُ الى الحق بكاها
ربّ عينٍ سفر الحقُ لها   فأشاحتْ عنه من ليل عماها
ودقيقاتٍ عن العقل خفي   أمرُهَا لكنّما القلبُ وعاها
كم وراء القلبِ من عينٍ الى   حجب الغيب استشفت ما وراها
باسمكَ اللّهم نادى هائمٌ   عائذاً من حرقة طال أساها
ودعتك الطيرُ لما رُوِّعتْ   من عدوٍ عاث شراً في حماها
هتفتْ عند الضحى صارخةً   فشجتْ معنى وانْ عيّ لغاها



ينبع ... الخير

سقى اللّه الحجاز وينبعيه ... وما حويا من الخير المهول

فينبع بحرهم نفع البرايا ... وينبع نخلهم مثوى القفول

على السَّاحل الشرقي للبحر الأحمر وعلى بُعد ٢٤٥ كيلومترًا من مدينة الرسول الكريم تقع مدينة ينبع البحر، التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا لا تنفصم عُراه، بسميّتها ينبع النخل الواحة الغنّاء والرّوضة الفيحاء على بُعد خمسين كيلومترًا إلى الشرق منها.

مشاهد على طريق ينبع

انطلقت بنا السيارة على الطريق الرئيسي من مدينة جدة ميممة شطر ينبع . كان ذلك صباح يوم من أيام الربيع الفائت . المسافة بين جدة وينبع ٣٦٥ كيلومترا ، والطريق واسعة ، وتعتبر من الطرق الجيدة ضمن شبكة الطرق المعبدة التي تربط مدن المملكة بعضها ببعض .

وهي تمتد في سهول تضيق حينا وتتسع حينا آخر ، تكسو بقاعا منها حلل زبرجدية اثر هطول الأمطار ، فالطبيعة حوالينا جميلة رائعة . ولم يمض بنا طويل وقت حتى اقتربنا من تقاطع بدر . وهنا قفزت الى ذهني في الحال غزوة بدر الكبرى التي جرت وقائعها على مقربة من هذا المكان في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وانتصر فيها الحق على الباطل .

هنا من بدر يتجه طريق الى المدينة المنورة مخترقا الجبال ، وطريق آخر يتجه غربا شاقا تهامة الى نحو ٢٥ كيلومترا على وجه التقريب ، ثم ينحرف الى الشمال الغربي محاذيا الساحل



صيد الأسماك حرفة يتقنها بحارة ينبع ، وهذه بعض قواربهم تضرب في عرض البحر .

باتجاه ينبع . ومن بدر تبدأ منطقة ينبع أو قل امارة ينبع . السهول على جانبي الطريق رملية حمراء مغطاة بطبقة من الحصباء ، وتكثر فيها أشجار السمر والطلع وشجيرات « العلندى » الخضراء ، كما تكثر قطعان المواشي من الغنم والماعز . وغالبا ما كنا نرى بعض الخبوت المزروعة بالبطيخ والذرة البيضاء والدخن . وعندما أصبحنا على بعد ثلاثين كيلومترا من ينبع البحر أخذت تتراءى لنا الأراضي السبخة وتتوارى عن ناظرينا الأشجار والأعشاب تدريجيا .

تسميتها وموقعها ومناخها

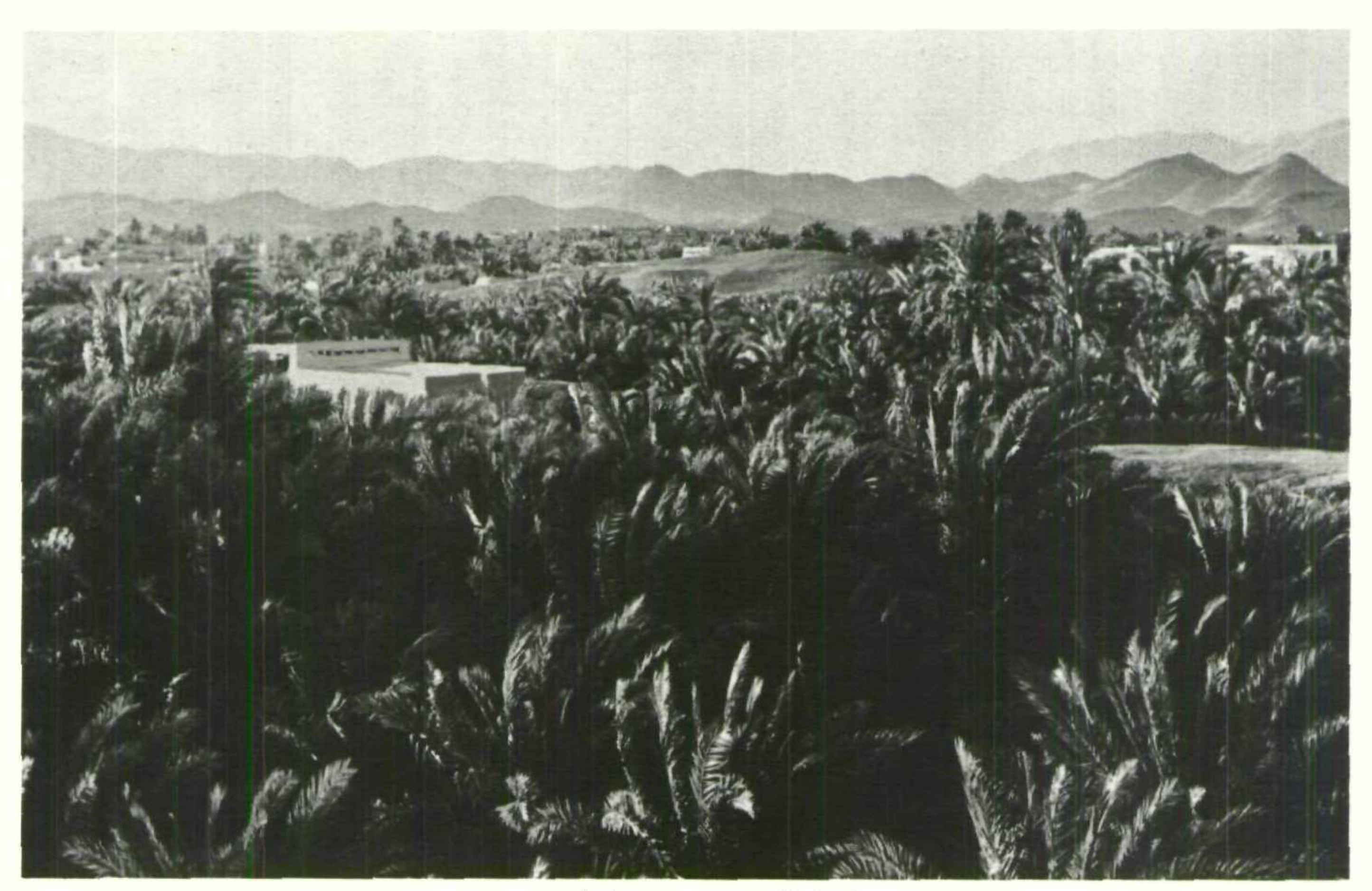
« ينبع » بالفتح ثم السكون والباء الموحدة مضمومة وآخرها عين مهملة ، بصيغة الفعل المضارع ، سمي بذلك لكثرة ينابيعه أي عيونه ، كما ورد في معجم البلدان . ويرد اسم « ينبع » في كتب بعض المؤرخين في صور متعددة : «ينبع » وهو الصواب ، و «الينبع » و «الينبوع » ، وهما تحريف للأول ، ويكثر هذا في مؤلفات مؤرخي القرن الثامن الهجري فما بعده ، كالمقريزي والقطبي وابن اياس الحنفي وغيرهم . ويطلق الاسم الآن على امارة « ينبع » التي تضم ينبع البحر ، مقر الامارة وينبع النخل الزراعية وقراها . وقد اختلفت الروايات في عدد العيون في ينبع النخل ، فمن قائل أن بها تسعا وتسعين عينا ، وذكر « ياقوت الحموي » عن الشريف ابن سلمة بن عياش الينبعي أنه قال : « عددت بها مائة وسبعين عينا » . ولئن اختلفت الروايات في عدد عيونها في الماضي ، فان واقعها الحاضر ليس كذلك ، فقد نضب جلها ولم يبق من العيون الجارية حتى الآن سوى أربع ، الأمر الذي حدا بوزارة الزراعة الى دراسة مشاريع من شأنها أن تعيد الى المنطقة نضارتها السابقة ومجدها الغابر الذي نعمت به قرونا طويلة . وهناك دراسات جادة تجرى حاليا لتقدير المياه الجوفية في المنطقة ، واقامة سد من شأنه أن يرفع منسوب الماء في تلك العيون .

وتمتد امارة ينبع الى مسافة ١٥٠ كيلومترا الى الشرق و ٦٠ كيلومترا الى الجنوب ، و ٣٠ كيلومترا الى الشمال . وتمتاز هذه الرقعة بتضاريس طبيعية خلابة : البحر بشواطئه الوادعة وثرواته الهائلة ، والسهول الفسيحة ، والجبال الشاهقة ، والأودية الناضرة. ومن أشهر جبال ينبع جبل رضوى ذو الشعاب الكثيرة ، وهو يرتفع نحو ١٨١٤ مترا عن سطح البحر ويطل على وادي ينبع من الجهة الشمالية الشرقية . من هذا الجبل كان يقطع حجر المسن الذي يستعمل في شحذ المدى ويحمل الى شتى البقاع . ويروى أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « رضوى رضي الله عنه » . وقد خصه الشاعر فؤاد شاكر في ديوانه « وحي الفؤاد » بقصيدة رقيقة نقتطف منها ما يلي :

فيا سفح رضوى جادك المزن والحيا
وحياك منهل السحاب غزير
ويا سفح رضوى كنت بالأمس مغفلا
وما لك في سمع الزمان عبور
تطلعت الأنظار نحوك فجأة
وأصغى الى نجوى رباك ضمير
أضفت الى التاريخ سفرا مجددا
له في سجل الخالدين سطور

ومن الأودية المشهورة في هذه المنطقة وادي ينبع ، ووادي العيص حيث الأراضي الخصبة والبساتين الرحبة .

أما من جهة المناخ فهو شديد الحرارة والرطوبة صيفا ، ولا سيما في شهري أغسطس وسبتمبر



النخيل الذي سميت به ينبع النخل .

حيث تصل درجة الحرارة أحيانا في الجزء الساحلي الى ٤٠ درجة مئوية ، والرطوبة النسبية الى ٨٥ في المائة ، ومعتدل شتاء . وكمية الأمطار التي تهطل سنويا على المنطقة معتدلة أيضا . أما في الجبال فتشتد البرودة شتاء ، ويعتدل الجو صيفا .

يَنْبُع في التاريخ

عندما يذكر المؤرخون القدامى اسم « ينبع » في مؤلفاتهم فانما هم يقصدون « ينبع النخل » التي كانت تتمتع بمكانة تاريخية مرموقة في الجاهلية وصدر الاسلام ، نظرا لوقوعها على طريق القوافل التجارية بين الحجاز والشام من جهة ، وقربها من المدينة المنورة ، عاصمة الاسلام الأولى ، من جهة أخرى . فبعد هجرة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، الى المدينة ، أصبحت هذه الناحية مسرحا لكثير من الأحداث اقترنت بالعديد من المواضع التي اندثرت ، أو هي لا تزال باقية تحت أسماء أخرى . فتلك هي « العشيرة » في بطن وادي ينبع غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلق من أهلها كيدا ، وأقام بها جمادى الأولى وبعضا من جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة ينتظر مرور قافلة من قريش على رأسها أبو سفيان . ويروى أن لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في العشيرة مسجدا صلى فيه حينما غزا غزوة العشيرة ، وكان معروفا الى القرن العاشر الهجري ، بعد أن درست عشيرة وبقي من عيونها « عين البركة » التي لا تزال معروفة حتى الآن . وتلك هي « سويقة » من منازل الطالبيين ، وقد شهدت قيام ثورات متعددة على الخلفاء العباسيين في فترات مختلفة من الزمن مما عرضها للتخريب وقطع النخيل وهدم البيوت مرارا ، وهي لا تزال موجودة .

وفي أسفل وادي ينبع نمر « بالنجيل » احدى العيون المعروفة الآن ، وقد ذكرها الشاعر كثيّر عزة بقوله :

وحتى أجازت بطن ضاس ودونها
دعان ، فهضبا ذي النجيل فينبع

وتجدر الاشارة الى أن شعر «كثيّر» حافل بأسماء العديد من المواضع في نواحي ينبع ، الا أنها طويت مع الزمن ولم يبق منها سوى أسمائها التي ترددها في أشعاره كقوله ، وقد ارتحلت عنه « عزة » :

فأتبعتهم عينيّ حتى تلاحمت
عليها قنان من « خَفَيْنَنَ » جون
وقد حال من حزم «الحَماتَين» دونهم
وأعرض من وادي «البُلَيْد» شجون
وفاتتك ظعن الحي لما تقاذفت
ظهور بها من « ينبع » وبطون

كانت ينبع من بلاد جهينة ، فلما دخلت في رحاب الاسلام أقطعها النبي رجلا منهم يدعى « كُشْد بن مالك » ، ثم اشتراها عبد الرحمن ابن سعد بن زرارة الأنصاري . فلما أقام بها استوبأها ورمد بها فارتحل عنها ، فاشتراها علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان النبي قد أقطعه بالعشيرة الآنفة الذكر ، كما أن الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أقطعه قطائع أخرى في ينبع ، واشترى هو أمكنة أخرى فيها . وقد استوطن علي ، رضي الله عنه ، ينبع

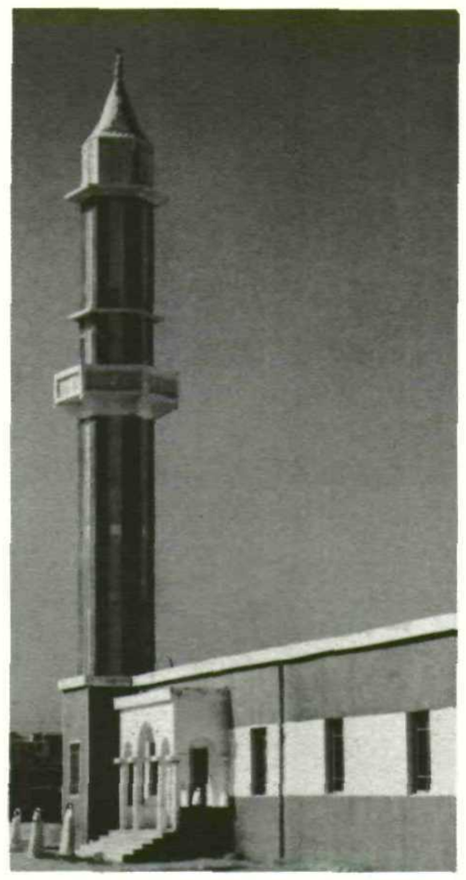
قبل توليه الخلافة . وكان بها معجبا ، ويروي المؤرخون عنه أنه نظر الى جبالها فقال : « لقد وضعت على نقب من الماء عظيم » . ثم استوطن بنوه وأحفاده تلك الجهات وانتشروا وكثروا فيها ، وملكوا عيون ينبع ومزارعها . ازدهرت ينبع فيما بعد حتى فاقت المدينة المنورة . ووصفها المقدسي في القرن الرابع الهجري قائلا : « ينبع كبيرة جلية ، حصينة الجدار ، غزيرة الماء ، أعمر من يثرب ، وأكثر نخيلا ، حسنة الحصن ، حارة السوق » . وفي القرن السادس الهجري قامت فيها للحسنيين دولة كان من أشهر رجالها الشريف « قتادة » جد ولاة مكة من الأشراف . وكان قتادة وذووه يسكنون في « العلقمية » من عيون ينبع المعروفة الآن . وقد استمر الملك في آل قتادة يتوارثونه حقبة من الزمان واتخذوا من وادي ينبع حصنا لهم . ثم أصبحت ينبع احدى المحطات الرئيسية التي يمر بها الحجاج القادمون من مصر والشام برا أو بحرا . وكان الحجاج وأهل ركب المحمل يستبشرون باقترابهم من « أم القرى » عند وصولهم الى ينبع . فيقيمون فيها ثلاثة أيام أو أربعة يريحون فيها أنفسهم من عناء السفر حيث النخل الكثير والعيون الجارية والينابيع العذبة المتفجرة . وتقام فيها سوق كبيرة يجد فيها الحاج كل ما يلزمه من أصناف الطعام من لحوم وسمن وعسل وتمر وخضار ، ولهذا كان مرور الحجاج بها يعتبر من المواسم المشهودة .

وفي بداية القرن الثاني عشر الهجري تعرضت منطقة ينبع للحروب والفتن فحلت بها وبأهلها الكوارث والأرزاء مما صرف سكانها عن العناية بالزراعة ، قوام تلك المنطقة . وفي أول العهد السعودي بعد استتباب الأمن وانتشار العدل نشطت حركة الزراعة فانتعشت البلاد بصفة عامة . الا أن هذه الحالة لم تدم طويلا ، اذ نضبت فيها عيون كثيرة أدت الى ضعف حركة الزراعة وبالتالي الى هجرة الكثيرين من أهلها الى جدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة . وقد تنبهت الدولة لهذا الأمر فأعدت لها في السنوات الأخيرة مشاريع زراعية كفيلة برفع مستواها الزراعي واستقرار سكانها.

أما ينبع البحر فلم يكن لها شأن يذكر عند المؤرخين في العصور الاسلامية قبل القرن السابع الهجري ، مع ان بعض المستشرقين يرى أنها كانت معروفة قبل الاسلام ، بل قبل ميلاد المسيح عليه السلام ، وأنها كانت تسمى في كتب اليونان القديمة نيرا « Nera » أو نيجرا «Negra» . وفي صدر الاسلام اتخذ المسلمون من « الجار » ميناء ، عندما كانت لهم علاقات تجارية قوية مع بلاد الحبشة . وقد اكتسب هذا الميناء شهرة كبيرة حتى ان البحر الأحمر كان يعرف ببحر الجار . ويقع الجار في المكان المعروف الآن باسم « الرايس » الى الجنوب من ميناء ينبع ، بينما يرى بعض الباحثين أنه يقع في مكان ميناء « البريكة » الذي لا يزال يستعمل على نطاق محدود . وفي أواخر القرن السادس الهجري بدأ أمر الجار يضمحل وأخذ ميناء ينبع يقوى ، حينما جعله الأيوبيون الميناء الرئيسي للمدينة المنورة وأقاموا فيه بعض الانشاءات . وفي عهد الجراكسة ، حكام مصر والشام والحرمين ، ارتفع شأن ميناء ينبع لاستقباله الكثير من السفن التي تحمل الجرايات المقررة من حبوب ونقود للمدينة المنورة ، بالاضافة الى لوازم الحرم الشريف وما يحتاج اليه ركب المحمل . وفي آخر عهد الجراكسة عمت الفوضى في الحجاز مما أدى الى انقطاع سيل الحجاج مدة ، فكان أثر ذلك سيئا على الشقيقتين ينبع النخل وينبع البحر . ثم عاد الميناء الى سابق عهده ابان حكم السلطان « سليمان القانوني » الذي أمر بانشاء مخازن للحبوب ، وبتشييد جامع كبير في البلدة ، وباصلاح الميناء وتوسيعه . ثم تضعضع شأن اقليم ينبع عامة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين بضعف الدولة العثمانية ، ولم تتذوق طعم الازدهار ولم تهنأ بالاستقرار بعد ذلك الا في العهد السعودي بعد أن استتب الحكم ، فأدخل عليها من الاصلاحات والمشاريع ما جعلها بحق مفتاح المدينة المنورة والميناء الثاني على ساحل البحر الأحمر الشرقي بعد ميناء جدة .

قرى ينبع وسكانها

ينتمي معظم سكان منطقة ينبع النخل الى قبيلة جهينة ، والبعض الى قبيلة حرب . أما أكثرية سكان مدينة ينبع البحر فهم من الأسر العربية التي انتقلت من صعيد مصر واستوطنت هذه المدينة . هذا وقد نزحت اليها مؤخرا بعض الأسر من الأشراف ، واستقرت فيها بعد أن اتسعت ونمت ونشطت ميناؤها . ويعمل معظم أهالي ينبع النخل في الزراعة وتربية النحل والمواشي . أما سكان مدينة ينبع البحر فيشتغلون بالتجارة وصيد الأسماك وصناعة القوارب الشراعية وفي الوظائف الحكومية المختلفة . ويضم وادي ينبع أربعا وعشرين قرية صغيرة متقاربة ، تقوم كل



الجامع الحديث بمئذنته الرشيقة المضلعة .

منها على عين ، وهي : الجابرية ، التي تشتهر بسوق يوم الجمعة ، وهي من أقوى العيون في المنطقة ، والسكوبية ، والمزرعة ، وعين عجلان ، وعين علي الحربية ، وعين علي الجهنية ، والفجة ، وخيف فاضل ، والسويق ، المشهورة بسوق يوم الاثنين النشطة ، اذ يجلب اليها أهل البادية من المناطق المجاورة المواشي والسمن والعسل والفحم الخشبي والخضار والفواكه ، والمعروف أن السويق كانت حتى وقت قريب مقر الامارة في ينبع النخل ثم أصبحت تابعة لامارة ينبع البحر ، والسويقة ، وعين حسين ، وعين حسن ، والحارثية ، والمبارك ، والبركة ، وقرية الأشراف ، والعلقمية ، والبثنة ، واليسيرة ، والنجيل ، وعين سلمان ، وعين جديد ، وعين النوى ، والعيص ، وواديها من أشهر أودية الحجاز ويصب في وادي الحمض ، وهي من أخصب المناطق الزراعية .

أما ينبع البحر فهي مدينة بدأت تتطور بخطى واسعة وأخذ العمران فيها يمتد باتجاه خليج رضوى خارج سورها القديم الذي أزيلت معالمه ، شأن الأسوار في كثير من مدن المملكة

رقصة « العجل » الشعبية التي يشارك فيها أبناء ينبع ، ويبدو في الوسط شيخ طاعن في السن يتوكأ على عصا ، وقد استخفه الطرب فوقف في الحلقة يردد الأهازيج بحماس الشباب .

القوارب الشراعية بأنواعها « الدنجة » و « الجردي » و « السمبوك » تجري صناعتها في ميناء ينبع .

العربية السعودية . وقد ساعد على نشاط حركة العمران في مدينة ينبع البحر المشاريع التي تبنتها الدولة ، ومن جملتها مشروع المياه ومشروع ميناء ينبع ومدينة الحجاج .

والجدير بالذكر أن ينبع كانت تعاني الكثير من افتقارها الى الماء العذب ، وكانت تعتمد في الماضي على مياه الأمطار التي تجمع في صهاريج مبنية بالصخر والجص . وفي آخر عهد الدولة التركية أنشئت فيها آلة لتقطير مياه البحر . ولما لم تكن هذه الآلة تفي بحاجة السكان ، جلب اليها الماء من مكان يسمى « المسيحلي » على بعد عشرة كيلومترات منها . وفي عام ١٣٩٠هـ، جلب اليها الماء من أربع آبار في مكان يسمى « المربع » في ينبع النخل بواسطة خط من الأنابيب قطره ١٢ بوصة ، كما أنشئت على مسافات متساوية من الخط ثلاثة خزانات كبيرة تستعمل في حالة تعطل خط الماء الرئيسي . وأنشيء أيضا في كل من ينبع البحر وينبع النخل خزان ضخم سعته ٤٠٠ متر مكعب . ومن المتوقع أن يوفر هذا المشروع للمدينة حاجتها من الماء ويواجه التقدم العمراني فيها .

وتقوم بلدية ينبع بشق الشوارع في المدينة وانارتها بالكهرباء وتشجيرها ، بالاضافة الى انشاء الحدائق العامة وبناء الأسواق وتوزيع الأراضي للبناء بأسعار رمزية . ويتبنى أمير ينبع الشاب نايف السديري عدة مشاريع ، من ضمنها مشروع اقامة جمعية تعاونية زراعية متعددة الأغراض وغير ذلك من المشاريع الحيوية .

هذا ، وتضم ينبع البحر سبعة أحياء أو محلات لكل منها عمدة يهتم بشؤونها الخاصة وهي : الصور ، والقاد ، والخريق ، والمنجارة ، والصعايدة ، والقف ، والأقيفة . ويبلغ عدد سكان الامارة حوالي ٣٠ ألف نسمة يتحلون بالتقاليد العربية الأصيلة ، ويتصفون بالكرم والسماحة وطيب اللقيا ومرح النفس ، وهذه خلال أملتها عليهم طبيعة البادية والحضر منذ زمن طويل .

وتجدر الاشارة هنا الى أنه تم في عام ١٣٩٠هـ انجاز مشروع الهاتف المحوري الذي يربط ينبع بالمدينة المنورة وجدة . وقد قامت شركة فرنسية بانشاء محطة لاسلكية سهلت الاتصال بينبع ، كما قامت بتركيب محطات هاتفية للنجدة على طول الطريق الرئيسي بين ينبع وجدة وذلك للتبليغ عن حوادث المرور . هذا وتجري الآن دراسة مشروع الهاتف الآلي ليحل محل الهاتف العادي المستعمل في ينبع منذ عام ١٣٦٩هـ .

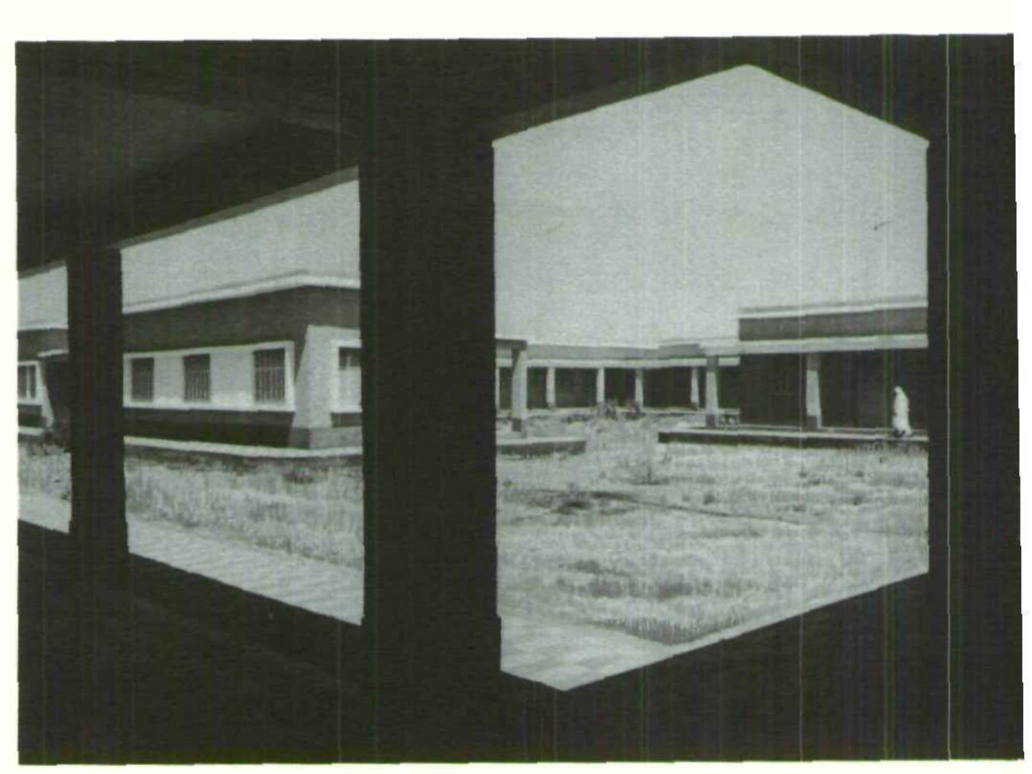
احدى مدارس البنات الابتدائية في ينبع البحر .



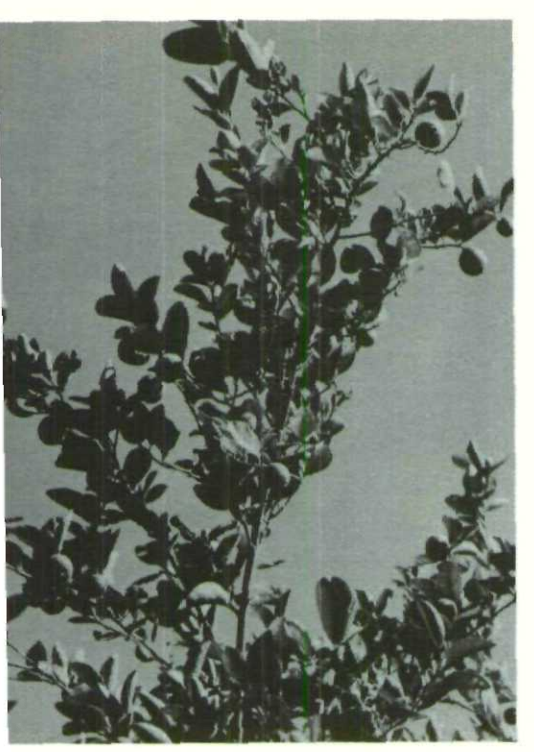
الرافعات على أهبة الاستعداد لتفريغ حمولات البواخر التي تؤم ميناء ينبع البحر .

احدى العيون الجارية في ينبع النخل .





جانب من مدينة الحجاج في ينبع البحر ، وهي تضم ثمانية عشر مجمعا سكنيا تتسع لحوالي ٢٥٠٠ حاج .



ليمون بن زهير ، من الأثمار التي تشتهر بها ينبع .

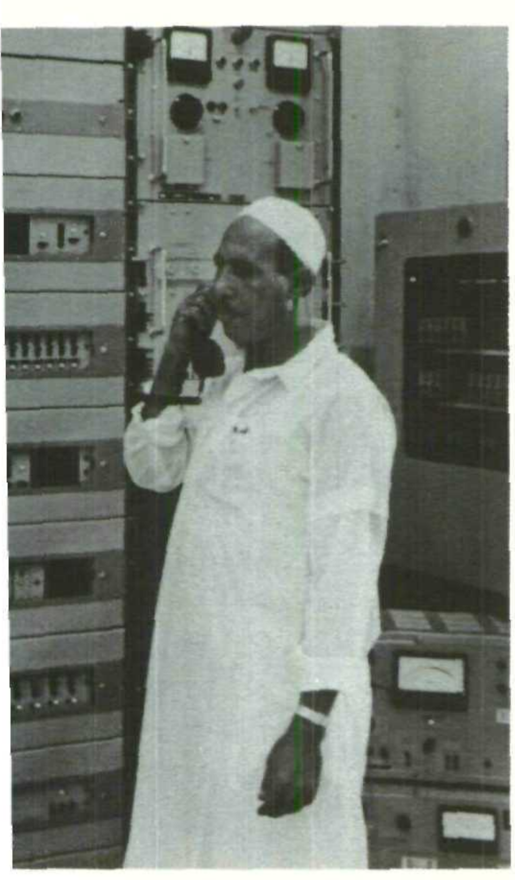
النشـاط الزّراعي

تنفرد ينبع النخل ذات العيون الجارية والأراضي الخصبة بالناحية الزراعية . فهي مصدر الخير الوفير لسكانها حيث تمتد البساتين والحدائق والمزارع في وادي ينبع ووادي العيص ، وتكثر أشجار الفاكهة في جبال رضوى والأجرد والأشعر . وقد أولت وزارة الزراعة هذه المنطقة اهتماما بالغا ، اذ حفرت الآبار الارتوازية لأغراض الري والسقيا ، فضلا عن العناية بالعيون الجارية ، وانشاء مشتل ومحجر زراعيين واقامة حقول ارشادية ومزارع نموذجية في قرى مختلفة ، وكذلك تزويـد المزارعين بالبذور والأدوات والمعدات اللازمة . الى جانب توفير العـلاج والعناية الصحية للمواشي .

وينبع غنية بمحاصيلها من الخضار والفواكه والحبوب والبرسيم . أما محاصيلها من الخضار فتنقسم الى قسمين : محاصيل صيفية ، ومحاصيل شتوية يستهلك جزء منها محليا ويصدر الفائض الى جدة والمدينة المنورة . وأهم أشجار الفاكهة التي تشتهر بها ينبع ، الحمضيات ولا سيما ليمون بن زهير والجوافا والعنب والرمان واللوز الهندي . كذلك الحناء التي تزرع في مساحات شاسعة وهي تجز ثلاث مرات في السنة . وتجفف أوراق الحناء وتصدر الى المدينة المنورة ومكة المكرمـة حيث يبتاعها الحجاج وغيرهم . كما أن هناك مساحات تزرع بالبطيخ ولا سيما في بطون الأودية التي يصيبها السيل . وتنمو في ينبع النخل أصناف عديدة من النخيل قد تندر في أماكن أخرى من المملكة منها اللونة وهو صنف مبكر ، والربيعة ، والبرني ، والصفوية ، والخضرية ، والريق ، والفرخ ، والنبتة ، والنبوتة ، والسكرة : وتؤكل وهي زهوة أي بلحة . ومما يجدر ذكره أن بعض المزارعين وخاصة في قمم جبل رضوى يربون النحل وينتجون من العسل أجود أنواعه .

التعْليـم

ليست هذه المنطقة حديثة عهد بالتعليم ، فقد أنشئت فيها مدرسة ابتدائية في عهد الحكومة التركية . ويحدثنا العلامة حمد الجاسر في كتابه « بلاد ينبع » أنه كان فيها عام ١٣٥٤هـ مدرستان : مدرسة ابتدائية تولى هو ادارتها مدة أربع سنوات ، ومدرسة مخصصة لأبناء البادية تقوم الحكومة بالانفاق على طلبتها ، الا أنها أخذت تضعف تدريجيا حتى زالت. والينبعي مولع بالتعليم وتكاد



محطة الهاتف المحـوري ، وتضم أجهزة حديثة تربط مدينة ينبع بكل من جدة والمدينة المنورة .

تلمسه واضحا بين الأهالي اذ لا فرق في ذلك بين حضري أو بدوي . وهذا ما دعا الحكومة السعودية الى انشاء عدد من المدارس في مدينة ينبع وقراها تكاد لا تتسع لقاصديها نظرا للاقبال الشديد على التعليم . وفي ينبع أيضا مدرسة حكومية للبنات تضم سبعة عشر فصلا وتصدر مجلات الحائط التي تعدها الطالبات كمجلة «النور» ومجلة «الأسرة» ومجلة «البيت السعيد» . وهناك أيضا معهد لاعداد المعلمات تم انشاؤه عام ٨٩/٨٨هـ ، ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات .

مدينة الحجاج

وتقع على يمين الداخل الى مدينة ينبع البحر وقد قامت بانشائها وزارة الحج والأوقاف لتوفير الراحة لحجاج بيت الله الحرام باعتبار ينبع عتبة لمدينة الرسول الكريم .

وتضم هذه المدينة ثمانية عشر مجمعا سكنيا تتسع لحوالي ٢٥٠٠ حاج ، تتوفر فيها مستلزمات الحياة الحديثة .

ميناء ينبع

منذ القدم وينبع البحر تستمد شهرتها من مينائها ، النافذة التي تطل منها على العالم . فقد كان لها في الماضي علاقات تجارية قوية مع مصر والسودان والحبشة ، فكانت تصدر التمور والأسماك والحناء والبطيخ والصمغ والسمن والعسل والماشية والأصواف والجلود الى الأقطار المجاورة . وقد تبنت وزارة المواصلات مشروع توسعة الميناء الذي بلغت تكاليفه ٢٠٠ مليون ريال لتخفيف الضغط عن ميناء جدة واستقبال معظم السفن الخاصة بنقل الحجاج . وقد تم انجاز هذا المشروع عام ١٣٨٥هـ . ويبلغ طول الرصيف الأول ٢١٠ أمتار ، وطول الثاني ١٧٥ مترا ويستقبل الميناء السفن التي يتراوح عمق غاطسها بين ٢٧ و ٣٠ قدما ، وقد بلغ عدد السفن التي أمت ميناء ينبع عام ١٣٨٩هـ ٧٦ باخرة و ١٧١ سفينة شراعية و ٢٠ سفينة تجارية بلغت حمولاتها ٤١٤ ٧١٢ طنا ، ٨٠ في المائة منها مواد بناء كالاسمنت والحديد والخشب والباقي بضائع استهلاكية أخرى تشحن الى جدة والمدينة المنورة والمنطقة الوسطى والمنطقة الشمالية .

وجدير بالذكر أن العامل المساعد على تنشيط الحركة الاقتصادية في ميناء ينبع هو اعفاء البضائع من رسوم الميناء مما يشجع العديد من التجار على استيراد بضائعهم عن طريق هذا الميناء . هذا وتقوم شركة سعودية لخدمات الموانىء بتفريغ حمولات السفن وتنزيلها في ساحات المواد ومن ثم نقلها بالشاحنات الى التجار دون أن يكلفهم ذلك كثير عناء .

وتضم ساحة الميناء عنبرين كبيرين لتخزين البضائع ، وورشتين للصيانة أحداهما ثابتة والأخرى متنقلة ، ونحو ٢٦ رافعة بين صغيرة وكبيرة . ويضم الميناء خمسة صنادل وزورق جر واحد .

ويجري الآن تنفيذ مشروع آخر في الميناء وهو انشاء صالة لاستقبال الحجاج ومجمع يضم المرافق الحكومية المختلفة . وتبلغ تكاليف هذا المشروع ١٢ مليون ريال ، وقد باشرت شركة اسبانية العمل في المشروع .

الآثار

ليس من شك في أن هذه البقعة تضم الكثير من الآثار ، لا سيما وأنها شهدت أحداثا جمة عبر تاريخها الطويل بحكم قربها من مدينة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ووقوعها على طريق القوافل التجارية بين اليمن والشام . والملاحظ أن جل هذه الآثار قد اندثر ولم يبق منها شيء ماثل للعيان سوى بعض النقوش والكتابات العربية في صخور الجبال بين ينبع النخل والعيص . ويذكر الأستاذ العلامة حمد الجاسر في كتابه « بلاد ينبع » نتفا عن تلك الآثار . ففي صخرة على قمة جبل لؤلؤة وجدت نقوش يعتقد بأنها من أوسمة الأعراب أو أنها حروف لأبجدية لا تزال مجهولة . وبالقرب من سويقة يشاهد المرء كتابات عربية بالخط الكوفي . ومن الأمكنة الأثرية فيها « قصر البنت » وهو قصر مبني بالصخر ، وتعلو بعض أحجاره نقوش وآثار من بينها أثر لراحة يد .

أما ينبع البحر فقد اندثرت آثار سورها وقلاعها التي شيدت في العهد التركي .

النشاط الاجتماعي

يتميز مجتمع ينبع بتمسكه بالتقاليد العربية الأصيلة من ناحية ، وانطلاقه مع تيار حضارة العصر من ناحية أخرى . والينبعي بصفة عامة نشيط مثابر يحب العمل ، الا أنه يحرص على الأخذ بأسباب التسلية البريئة والمرح ترويحا للنفس من عناء العمل . ففي المساء تعقد حفلات السمر حول أجهزة التلفاز في البيوت أو المقاهي التي تغص بروادها . وفي فصل الصيف يرتاد الكثيرون من أهل ينبع الشواطىء ، ولا سيما شاطىء « الشرم » على خليج رضوى ، وهو من أجمل الشواطىء ، وقد وصفه أحد الشعراء بقوله :

فان أنس لا أنسى بسيفك شاطئا
يقوم عليه سبسب وصخور
جواهره في منظر العين تشتهى
لتزدان منها أذرع وصدور
وأصدافه من خالص الحسن لؤلؤ
تمنته من غيد الملاح نحور

وتتجلى البهجة بأعمق معانيها عندما يشارك أهل ينبع في أفراح الزواج شيبا وشبانا وأطفالا . وتبدأ أفراح الزواج عندهم برقصة « العجل » يؤدونها بعد صلاة العصر على قرع الطبول ، ويرددون أهازيج بحرية تعبر ألحانها عن عودة الربان سالما . وهم ينتقلون جيئة وذهابا بين بيت العريس وبيت العروس على نغمات هذه الرقصة الشعبية . ويقدم أهل العريس والعروس القهوة والشاي والشراب للجميع ، ويمطرون الصبية من على الشرفات بقطع النقود والحلوى . وتعقب رقصة « العجل » في المساء رقصة أخرى تسمى « الرديح » وهي رقصة شعبية تنطوي على ألوان من الاثارة والتنافس حين يدخل الشعراء الشعبيون في مساجلات شعرية يطرب لها الحاضرون الذين يقفون في صفين متقابلين في كل صف منهما شاعر . وهناك أيضا رقصة « السمسية » .

والشباب الينبعي مولع بالرياضة ، ففي ينبع ناديان رياضيان هما نادي « المجد » ، ونادي « الميناء » ، ولكل منهما فريق للعبة كرة القدم . وهم يشتركون في المباريات الرياضية مع أندية المدينة المنورة وجدة وتبوك .

وأخيرا لا يسعني وأنا أرى هذه الرقعة العزيزة من المملكة تسير بثقة واعتزاز على دروب التقدم بما يبشر بمستقبل مشرق ، الا أن أردد مع الشاعر :

من لي برد أويقات لنا سلفت
في ينبع الخير والآمال والأدب
خير البلاد وأرجاها وأقربها
نفعا وأرجحها كسبا لمكتسب
وكيف لا وهي من دون البلاد غدت
بابا لبلدة طه المصطفى العربي ■

سامي نصر الله

لقاء مع :



محمود تيمور

حول :

أعماله الأدبية والمفهوم العالمي للفن والأدب القصصي

اجراه الاستاذ محمد رفعت المحامي

سألت الأديب الكبير « محمود تيمور » عميد القصة العربية المعاصرة عن مطالعاته التي أثرت في أسلوبه في كتابة القصة وفي بنائه لما يكتب من قصص ، فقال لي :

— عاش جيلنا فترة طويلة في ظلال النزعة المحافظة التي كانت تسود المجتمع الشرقي في مستهل القرن المعاصر . ثم لم تلبث ظلال هذه النزعة المحافظة أن انحسرت على أثر تتابع البعثات الى ممالك أوربا وازدياد أسباب الاتصال بيننا وبين العالم المتحضر ، وأخذنا نسمع نغمة جديدة تدعو الى التجديد في اللغة والأدب والسياسة والدين ، ولكنها قوبلت من جمهرة المعاصرين بالاستنكار . وكان زعماء هذه النهضة : « سعد زغلول » و« محمد عبده » و« قاسم أمين » ثم « لطفي السيد » وتلاميذه فيما بعد .

ولما تهذب ذوقي في المطالعة أقبلت بشغف على قراءة « المنفلوطي » ، فقد كانت نزعته « الرومانسية » الحلوة تملك علي مشاعري ، وأسلوبه السلس يسحرني . وكل انسان في أوج شبابه تطغى عليه نزعة الرومانسية والموسيقى ، فيصبح شاعرا ، ولو بغير قافية ، وقد يكون أيضا شاعرا بلا لسان !

ولما كان شقيقي الأكبر « اسماعيل » بحكم مكانه في الأسرة قد اضطلع بزعامة المنزل ، وأخذ على عاتقه القيام بما تفرضه هذه الزعامة من اتجاه الى العمليات ومحافظته على تقاليد الأسرة وما يتبعها من رسميات ، وجدت الفرصة سانحة للتحكم في أوقات فراغي الى حد كبير ، أصرفها وفق ميولي بعيدا عن الحياة العملية ومظاهر الرسميات ، فأشبعت ميلي الى المطالعة .

وكان نصيب الشعر وافرا في مطالعاتي هذه ، الشعر بنوعيه : العربي والافرنجي ، وخاصة شعر المعاصرين . وكنت أفضل منه غالبا ما كان خياليا مغرقا في الخيال . وكانت المدرسة المهجرية التي أنشأها اخواننا اللبنانيون والسوريون في المهجر ، قد بسطت نفوذها على الأدب المصري ، فأخذت بها ، وشغفت كبير الشغف بزعيمها « جبران » ذلك الشاعر الرمزي المغرق في الرمزية . وكانت « الأجنحة المتكسرة » أول كتاب حظي مني بأوفى حب وتقدير ، فتأثرت به أولى كتاباتي ، وجلها من الشعر المنثور ذي النزعة الرومانسية .

وكان لجبران وجماعته مجلة تدعى « الفنون » قرأنا فيها لونا جديدا من الأدب ، كان يحاول أن يخرج عن نطاق التقليد في الفكرة والقالب ويستمد معينه من الغرب ، وقد استحدث له أسلوبا جديدا خرج فيه عن بعض قواعد اللغة ، ونهج المنهج الافرنجي ، فاستعذبناه لطرافته وشذوذه عن المألوف . ولا جدال في ان ذلك الأدب على علاته ، كان يحوي عنصري التجديد ، فهو دم جديد جرى في عروق أدبنا المحافظ ، فنشط ودبت فيه حياة جديدة . وكان للقصة نصيب لا يستهان به في هذا الأدب « المتأمرك » ، والقصة — حتى ذلك العهد — بضاعة تكاد تكون غريبة عنا ، فتأثير هذه المدرسة في تلك الناحية من أدبنا ظاهر ملموس . وأخذ نفوذ هذه المدرسة يزداد على مر الأعوام ، اذ كثرت البعوث الى أوربا ، فلما عاد أعضاؤها ، أخذوا يبشرون بمبادىء جديدة في كل فرع من فروع الأدب . فكانت بداية نهضة جديدة .. نهضة لها خطرها .

وكنا على أبواب الحرب ، وعاد شقيقي « محمد » من أوربا محملا بشتى الآراء الجريئة . كان يتحدث بها الي ، فاستقبلها بعاطفتين لا تخلو من تفاوت : عاطفة الحذر ، وعاطفة الاعجاب .

هذه الآراء كانت وليدة نزعة قوامها التجديد ، ولكن جدتها أخذت تهدأ على توالي الأيام ، ومن ثم اتخذت طريقها الطبيعي في التطور . والأمر الذي كان يشغل فكر أخي ، ويرغب في تحقيقه ، هو انشاء أدب مبتكر يستهدي وحيه من دخيلة نفوسنا ، وصميم بيئتنا .

ويحسن هنا أن أذكر حادثا مهما أعتقد أنه كان نقطة تحول في حياتي الأدبية ، اذ وجه مجرى هذه الحياة وجهة معينة . أصبت بمرض « التيفود » — وكنت اذ ذاك في العشرين من عمري — وكانت وطأة المرض شديدة علي ، فلزمت الفراش ثلاثة أشهر قضيتها في ألوان شتى من التفكير ، وأخلاط من الأحلام ، واستطعت أن أهضم الكثير من الآراء التي تلقيتها من أخي ، او استمددتها مما قرأته من الكتب ، فلما أبللت من مرضي ، واردت استئناف دراستي العالية — وقد كنت بدأتها فعلا — حال دون ذلك ضعف بنيتي ، فعشت فترة من الزمن متعطلا ، وأطلقت لنفسي عنان الحرية — شيئا ما — فخرجت من الكثير مما كان يقيدني من تحفظات الأسرة . وشعرت باشتداد ميلي للأدب ، فرسمت له دراسة شبه منظمة ، وخصصت له وقتا معينا من وقتي ، فكأني قد أردت بهذه الخطة استكمال النقص الذي لحقني من انقطاع دراستي العالية . فمما لا ريب فيه أن حادث المرض كان بداية طور جديد في حياتي الأدبية ، نقلني من دور التردد الى دور اليقين ، ومن دور الالمام والهوادة في التحصيل الى دور الجد فيه والاستيعاب .

وما أن مضيت في ذلك حتى كان شقيقي «محمد» قد اقتحم المسرح ، اذ كان ميدانه الأكبر ، فألف فيه بالعامية ، وعالج موضوعات مستخلصة من حياتنا في فن جديد ، امتاز بوصف مبدع ، وتحليل دقيق ، وأسلوب جذاب ، ومارس كتابة القصة ، فاستحدث طريقة تكاد تكون غير مألوفة في أدبنا في ذلك الوقت . فنظم الشعر فترجم فيه عن احساسه المرهف ، وألف في النقد المسرحي فابتدع لونا جديدا مرحا فيه هزل وفيه جد . وعلى الجملة كان أدب محمد تيمور أدبا مبتكرا مادته الحياة الواقعية والنفس البشرية والبيئة المحلية .

هذا على حين أن والدي «أحمد تيمور» كان يعمل ويؤلف في ميدان آخر ، ميدان اللغة والتاريخ والأدب القديم ، لا يبرح خزانته الا لماما ، يعيش في جو المعجمات وحوادث العهد الغابر ، وقد يقضي الساعات الطوال ، بل الأيام ، في الكشف عن لفظ أو تحقيق خبر .

في ذلك الوقت كنت أستشير في مطالعاتي بهداية شقيقي ، فنصح لي ، فيما نصح ، بأن أطالع «حديث عيسى بن هشام» للمويلحي ، ورواية «زينب» للدكتور هيكل ، فرأيت فيهما لونا يختلف عن اللون الرمزي والرومانسي الذي كنت غارقا فيه ، لونا واقعيا يهبط بالقارىء من سماء الخيال العليا — حيث يعيش الناس كالملائكة فوق الضباب — الى الأرض التي نحيا عليها ، حيث نرى الناس بشرا مثلنا على فطرتهم التي خلقوا عليها .

و «حديث عيسى بن هشام» يعد في نظري المرحلة الثانية للقصة في الأدب العربي بعد «ألف ليلة وليلة» ، فقد نحا فيه مؤلفه منحى عصريا ، فخياله واسع وسرده ممتع لا تخلو شخصياته من أحكام في الوضع ، وهو وان كان قد تقيد بعض التقيد بالمقامات في الأساليب والتأليف ، فقد امتاز بأنه أول محاولة ناجحة لتمصير الأدب وصبغه باللون المحلي الزاهي مع سموه عن الواقعية الساذجة .

أما رواية «زينب» فهي فيما أرى تعد أول عمل أدبي في القصة المصرية ، يتضمن العناصر الأساسية للقصة الحديثة كما نعرفها اليوم .

وامتدح لي شقيقي محمد غير مرة «موبسان» الكاتب الأقصوصي الفرنسي ، فبدأت أطالعه ، وما كدت أقرأ له مجموعة حتى فتنت به ، وتابعت قراءتي اياه في شغف عظيم . واتسعت مطالعاتي فيما بعد في القصيص الأوربي ، وتشعبت ، ولكنني حتى اليوم ما زلت محتفظا لموبسان بالمكان الأول في نفسي ، فهو عندي زعيم الأقصوصة الأكبر . وفن «موبسان» في نظري فن كامل توفرت فيه كل العناصر اللازمة لبناء قصة قوية ، من حيث عرض الموضوع ومعالجته وتحليل شخصياته وتسلسل الحوادث وخواتمها ، كل ذلك في وضوح واتزان . ولا أذكر اني قرأت له قطعة لم تهزني . وأخذت أيضا بسومرست موم : بمشاهده ونماذجه التي يلتقطها من شتى أنحاء العالم ، وبراعته وأسلوبه الحافل بالفكرة والمتعة والتسلية .

ثم انتقلت بعد ذلك الى القصصي الروسي ، وقرأت «لتشيخوف» و «تورجنيف» ومن ماثلهما ، فرأيت تأثير «موبسان» واضحا في بعض انتاجهم. وتمتاز القصة الروسية بأنها قطعة منتزعة من نفس صاحبها ومن مشاهداته ، يعرضها في غير كلفة ولا زخرف ، وقد يقرأ الانسان أقصوصة من هذه الأقاصيص ، فلا يرى فيها موضوعا تاما له بدايته ونهايته ، بل يرى صفحة ساذجة من الحياة ، ولكن تتراءى له خلف هذه السذاجة الظاهرة صفحات من صميم المآسي البشرية . لذلك نعتقد أن قوة القصة ليست في حوادثها الثائرة الفاجعة ، ولا في مشوقاتها المبتذلة التي قد يتعمد القاص أن يجتلبها ليستر ضعفه وراءها ، بل ان قوتها الحق في بساطتها وصدقها وصوغها في قالب فني رفيع .

• هل تعتقد أن الحرمان يدفع الفنان الى الاجادة ؟

— أحب أن أقول — أولا — ان الاجادة لها عوامل شتى . وان القول في هذه العوامل على وجه التحديد قول لا يخلو من تعنت وشطط ، فالعناصر التي تكوّن الفنان وتلهب النار بين جنبيه لا تخضع لقواعد جامدة وأحكام مفروضة ، فهي متنوعة متلونة ، وربما وصلت الى حد التناقض .. فما يرفع فنانا هنا يخفض فنانا هناك ، وما يعين على الاجادة عند بعض الناس يعين على الاخفاق عند آخرين .

والواقع ان للاجادة أسرارا في أنفس الفنانين لم يفض عنها حتى اليوم خاتم الزمان ! ولكن مما لا شك فيه أن «الحرمان» عامل قوي الأثر في حياة العباقرة ، ودافع فعال لاجادة الفن . بيد أن الحرمان ألوان ، بل ان الحرمان أضداد .

وهناك من ألوان الحرمان : اللون المادي ، واللون العاطفي ، واللون الاجتماعي . وهناك من أضداد الحرمان ما أسميه الرغبة في الضد ، أو الملل من الواقع المتتابع !

• احك لي كيف تكتب قصصك.. مرحلة مرحلة؟

— انني أتمتع بوجدان حساس .. وقراءاتي ومشاهداتي اليومية تثير في نفسي صورا وأفكارا لا تلبث أن تتبلور في شكل ما أسارع بكتابته في صورة مهوشة .. ثم أضع ما أكتبه في ظرف وأركنه ، وأحيانا يستبد بي الموضوع ، فأكتبه في مذكرات منظمة نوعا ، ثم أضعها في ظرف وأركنه أيضا .

وأعود مرة أخرى الى هذه الظروف .. وأخرج ما فيها وأعيش في جوه ، وأرتب هذه المسودة بعد ذلك ، وأدخل عليها بعض التحسينات والتعديلات والتأنق في الألفاظ ثم أبيض المسودة وأرسلها الى المطبعة رأسا !

فأنا أكتب على أربع مراحل : مرحلة كتابة المذكرات المهوشة . ومرحلة كتابة المسودة . ومرحلة تعديل المسودة وتحسينها وصقل أسلوبها . والمرحلة النهائية .. مرحلة التبييض .

• ماذا استخلصتم من تجاربكم في الحياة ؟

— ما أكثر ما استخلصت من التجارب ... ولكن هذا الذي استخلصته لا يبدو لي متميزا واضحا يسهل التعبير عنه ، فأغلبه مما دخل في نسج الطبع والأحاسيس والمزاج . وهو يملي عليّ تصرفاتي ، دون أن أشعر به في أغلب الأمر .

على ان هناك ناحية أعدها أساسية فيما خلص لي من تجارب العمر ، تلك هي ان من الحكمة والحصافة ألا نسرف في الدقة والموازنة والمبالاة حين نزاول أعمالنا ونعالج مشكلاتنا ونتولى تصريف ما يعترضنا في حياتنا اليومية من شئون وشجون . فالاسراف في الدقة مضيعة للفرصة . والمبالغة في الموازنة مجلبة للقلق . والغلو في المبالاة مدعاة للجبن . ومن عناصر النجاح في الحياة : سرعة الانتهاز وقوة النفس والاتصاف بالجرأة والاقدام .

ولا شك أن ذلك كله يقتضي الاستعداد لتحمل المسئولية ، والنهوض بالتبعة والصبر على ما عسى أن يحدث من متاعب ومصاعب وعثرات . وفي ذلك الخير كل الخير .. فالشخصية لا يتوافر لها النضج ، ولا يكتمل فيها النمو والوعي الا بحمل المسئوليات في عزم وحزم واصرار .

وأنت اذا تعودت الجرأة والاقدام والسرعة فقد تخسر أحيانا ما لا يخسره المدقق الموازن المبالي الذي يؤثر الحذر في كل خطوة وفي كل اجراء .. ولكن الحاصل أخيرا للجريء المقدام كسب موفور .

* **ما هو أعظم اكتشاف اكتشفته الانسانية ؟**

– انه بلا شك اللغة .. فالعالم كله كان ضياعا قبل اكتشاف اللغة . وعندما اكتشفت اللغة استطاع الانسان أن يترجم نفسه وأن يخلق حضاراته ومدنياته.

ان اكتشاف اللغة – عندي وبالنسبة للجنس البشري – أهم من اكتشاف الذرة !

* **هل يظل الخصام موصولا بين أنصار العامية وأنصار الفصحى ؟**

– المعارك بين العامية والفصحى ستظل ، ما دامت هناك عامية وفصحى ، وما دام هناك أدباء يرون أن لسان الحياة العامة جدير أن يكون لسان الثقافة والفكر والقلم ، وما دامت هناك حرية وحيوية في الاعراب عن وجهات النظر المختلفة في قضايا الرأي بوجه عام .

ولا أظن أن هذه المعارك مفضية الى هزيمة أو انتصار ، ولكن سيكون دائما مد وجزر ومما لا شك فيه أن الفصحى ستتسع رقعتها وتتغلغل سلطتها حتى تشمل طبقة من الناس أكثر مما تشمل الآن .

ويقيني أن الفصحى ستكون صاحبة الكلمة وسيدة الموقف من وجهة الألفاظ والمصطلحات ، سواء في ميدان الكتابة أو ميدان التخاطب ، ولكن الذي أتصوره ان أوضاع الاعراب وضبط الكلمات ضبطا لغويا صحيحا وضبط الأساليب ضبطا نحويا وصرفيا سليما وما الى هذه المعالم التي تتميز بها الفصحى لن تستطيع أن تفرض سلطانها المطلق على ألسنة الجمهور الكبير في الحديث اليومي .

ولذلك فاني أعتقد أنه مهما تغلغلت الفصحى بأوضاعها النحوية والصرفية فسيكون هناك تجاوز كبير في لهجة الناس حين يتحدثون ، لأن التزام قواعد الاعراب والصرف ليس بالأمر اليسير الذي يكتسب بالتعليم أو المحاكاة أو المرانة القليلة.

* **ما نظرتك الفلسفية المتكاملة التي حاولت التعبير عنها في مجموع أعمالك الأدبية ؟**

– لست أجرؤ على ادعاء ان لي نظرة فلسفية فان للفلسفة رجالها ، ولست منهم في كثير أو قليل ، ولكني أقول أن لكل كاتب ، مهما تعددت أعماله وتنوعت ، وحدة فكرية يمكن استخلاصها من بين السطور ان لم تكن صريحة وموضوعة نقطها فوق الحروف .

واذا أنا أطرقت مليا أسأل نفسي : ماذا يستطيع المستخلص أن ينتزع من وحدة فكرية في أعمالي الأدبية على اختلاف أنواعها من قصص قصير أو مطول ومن مسرحيات أو صور ومناجيات ؟ فربما كان أبسط الجواب عن ذلك اني لم أفرض لنفسي مذهبا فكريا أو منزعا فلسفيا وأعالج التعبير عنه في عمل فني ، ولكن كانت أعمالي كلها استجابات متتابعة لما حولي من مشاهد ، وتأثرا متطورا بما تسمع أذني وتبصر عيني واستفادة واعية حرة بما أقرأ من نتائج القرائح والأذهان ، ولم أكن في ذلك كله محبذا لنظرية من النظريات أو مفتونا بفكرة من الفكر ، بل كان ذلك كله يختلط بعضه ببعض وليجة نفسي ، أو في بوتقة فكري ، ثم أترك لقلمي أن يعبر عنه في ذلك الاطار الفني ، اطار القصة في الغالب ، واطار المقالة أو الصورة الوصفية في الأقل .

وسأكون راضيا اذا تحقق ما أتوهمه أو ما أحسبه أني وصلت اليه من انطواء أعمالي الأدبية على صدق التعبير عن الحياة التي نحياها والمجتمع الذي نعيش فيه وعلى نقد غير مكشوف لما تعانيه البشرية من متاعب وضغوط ، ولعل الشخصيات التي رسمتها وأنبت ملامحها شخصيات طبيعية تمثل نماذج انسانية لا كذب فيها ولا افتراء وأدوارها التي تقوم بها تمثيل صحيح لمدى طاقات البشر في صراعها مع المجتمع والحياة .

* **وما أكثر أعمالك تعبيرا عن حياتك الذاتية ؟**

– كل عمل من أعمالي هو جزء من ذاتي وبضعة من حياتي ، فلقد أودعت أعمالي ما أحسست به على مدى أيامي وما أفدت من مدامجتي للناس ومعاشرتي اياهم على اختلاف المشارب والفئات والبيئات .

واني حين أراجع ما أكتب وبخاصة ما مر على ظهوره سنون كثيرة أجد في كتبي صفحات متناثرة من تاريخ حياتي وتاريخ تطوري وتاريخ علاقاتي بالناس وتكاد كل صفحة تذكر مرجعها من تلك التواريخ وتنطق بالأسماء الحقيقية التي تدل عليها والتي كانت لها في الواقع .

وكذلك فيما يتعلق بالشخصيات فان بعض النماذج التي صورتها من الناس تنطبق على بعض من عرفت وتكاد تدل عليهم وتشير اليهم من قريب ، ومنهم من كان يتبين صورته بعينها أو بملامح منها ، كما رسمتها في القصة أو في المسرحية .

وعلى الرغم من مضي عشرات من السنين تكاد تدنو من الخمسين على أعمال أدبية مبكرة لي ومضي أزمان متفاوتة أقل من ذلك على أعمال لاحقة ، فاني لا أذكر أن لي بينها عملا لا يمت الى نفسي وذاتي بسبب ، لأني لم أكن أنقل من كتاب ، ولم أكن أتكلف التعبير ، وانما كنت أصدر عن مشاعري واحساساتي النابعة من ذاتي ، فأنا وكتبي كما قال شوقي : « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا » .

* **ما مفهوم « العالمية » في الأدب والفن ؟**

– مفهوم « العالمية » في الأعمال الفكرية عامة ، والأدب والفن خاصة ، ان العمل يتجاوز حدود المشكلات الخاصة ذات البيئات المحدودة أو المشكلات السطحية التي يترفع عن قراءتها القارىء المثقف المستنير أو المشكلات الوقتية التي تفقد جاذبيتها وحساسيتها بانتهاء زمنها العابر .

المفكر « العالمي » ، في الأدب القصصي مثلا ، هو الذي يخاطب أعمق مشاعر الانسان عموما وأقوى مشاكله وأخص هواتفه .. هو الذي يستطيع أن يتصيد ما بين البشرية جمعاء من عاطفة مشتركة وما في وجدانها من خفوق موحد حول الحياة في أفقها الرحيب .

وبفضل هذا النزوع العالمي المترابط بين المفكرين العالميين ظفرت الانسانية بالتعبير عن قيم سامية ومثل عليا ، كلنا نشيد بها على الرغم من اختلاف الأجناس ، وتباين الأزمان والأوطان .

اننا نؤمن بأن للحياة كرامة ، وان الحرية حق ، وان العدالة الاجتماعية حتم ، وان الفضيلة جوهر . وهذه أعمال الأدباء العالميين وهي التي نستطيع بها أن نتمثل مفهوم « العالمية » في الأعمال الفكرية . ولكن لا بد أن يتوافر للتعبير عن هذه المبادىء اطار فني رفيع يتميز بالجدة والابتكار ، وذلك ما لا يضطلع به الا العباقرة الأفذاذ في الأدب والفن .

* **وقصتنا نفسها ماذا يعوقها من اللحاق بركب القصة العالمية ؟**

– الحقيقة ان قصتنا متخلفة بعض الشيء ، غير أن هذا لا ينفي حقيقة ثابتة ، هي أن قصتنا فعلا عبرت حدودنا وخرجت الى العالم في أكثر من لغة وترجمت اليها . على انني – ولست راضيا ولا قانعا – أؤمل في الغد القريب أن نجلو صفحة القصة العربية لأنظار القارئين بمختلف اللغات .

وطلبت من محمود تيمور ان يهدي الى « قافلة الزيت » آخر كتاباته ، فاخرج من درج مكتبه مقاله المدرج في الصفحة المقابلة بعنوان « شريكة حياتي »

وقال لي :

– هذه هديتي لقافلة الزيت . أعدها شيئا من أغلى الدرر في كنز كتابي . . .

وينبغي انتزاع الشموع المختلفة في المواد المتبقية بعد تقطير أي نوع من أنواع الزيت الخام لأنها تتصلب اذا انخفضت درجة حرارة الجو ، وهذه الشموع المنتزعة تعرف باسم « الشمع الرخو » .

تصنيف الشموع البترولية

تثبت الدراسات والتجارب التي أجريت على الخصائص الكيميائية والفيزيائية للمركبات الهيدروكربونية انه يمكن تصنيف شموع البترول الى فئتين رئيسيتين هما : « الشموع البرافينية — Paraffin Waxes » وهي التي تنتج عن المقطرات الخفيفة والمتوسطة . و « الشموع البلورية الدقيقة — Microcrystalline Wax » وهي التي تستخلص بصورة رئيسية من متخلفات مواد التزييت الثقيلة .

هذا وان جميع وسائل التكرير الحديثة تزيل المواد الشمعية من جميع الأجزاء البترولية . كما أن معامل التكرير التي تصنع الشموع الخالصة تفصل بين الشموع البرافينية والشموع البلورية الدقيقة ، أما قبل عملية عزل الشمع عن الزيت أو بعدها . ولهذا نجد أن عملية تقطير الزيت الخام ما زالت تتبع في بعض المعامل بعد اتمام عملية عزل جميع الشموع البرافينية عنه . ومن الممكن رؤية البلورات البرافينية بالعين المجردة . بينما لا يمكن مشاهدتها في بعض أنواع من الشموع البلورية الدقيقة ، مثل « هلام البترول — Petrolatum » الا بالمجهر . وتقول احدى النظريات ان الفوارق بين حجم بلورات الشموع البرافينية وبلورات هلام البترول تعتمد كليا على وجود بعض الشوائب والمواد الأخرى (كالاسفلت) ، التي تتجمع في الأجزاء المترسبة والتي تبين الفوارق بين فئتي البلورات المذكورتين .

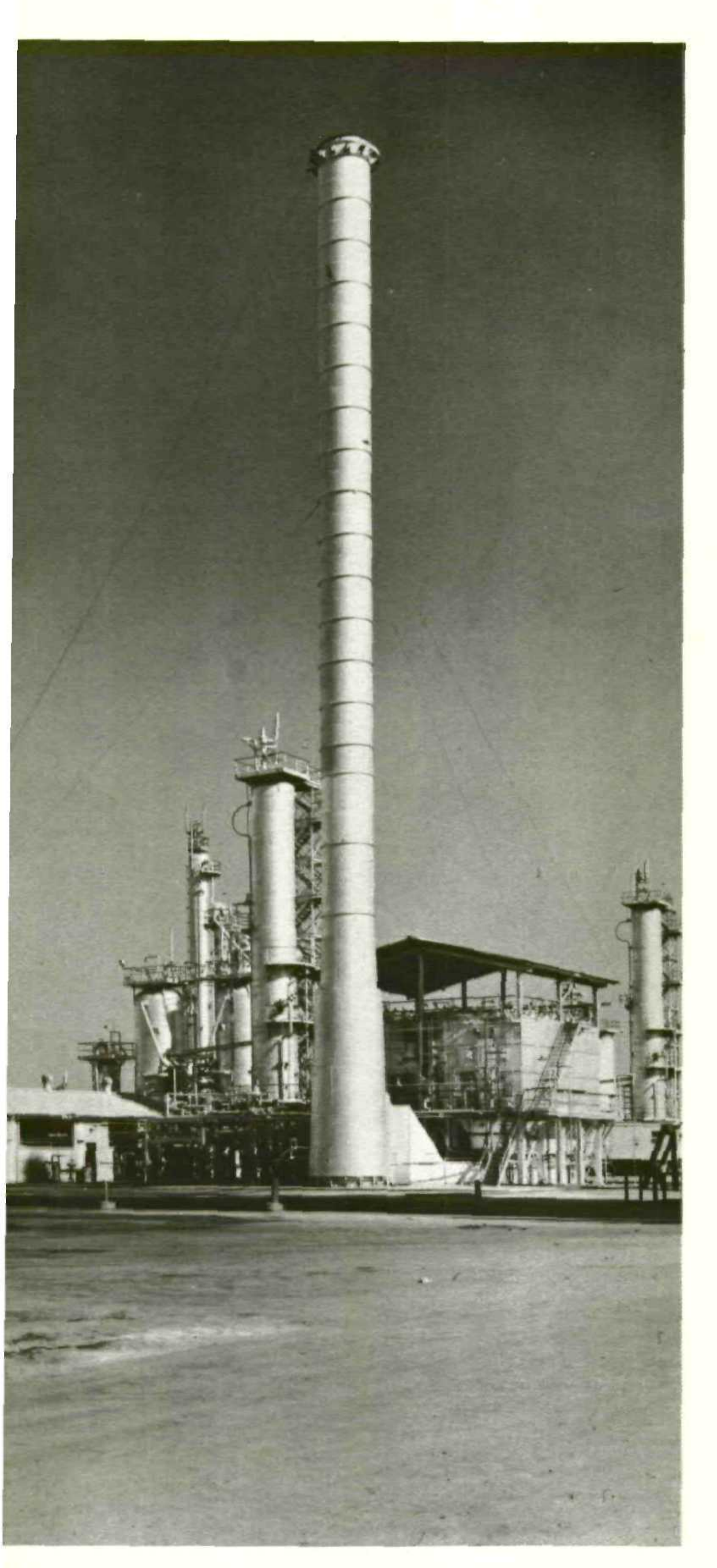
الشموع البرافينية

وتتميز هذه الشموع بتركيب بلوري غليظ وتتكون بصورة رئيسية من برافينات نظامية بالاضافة الى بعض « البرافينات المتماكبة — Branched-Chain Structure » و« البرافينات الحلقية — Ring-type Structure » ويجري استخلاصها كما أسلفنا من مقطرات مواد التزييت الخفيفة والمتوسطة بتبريد هذه المقطرات وضغطها ومن ثم تبريد الشموع تدريجيا من أجل عزل الزيت الذي قد تحويه عنها . وتتراوح درجات الانصهار في الشموع البرافينية بين ٤٣ و ٧١ مئوية .

والشموع البرافينية المكررة تكريرا كاملا تكون عادة مواد بيضاء صلبة خالصة في جوهرها من الزيت لا رائحة ولا طعم لها ، وتتراوح درجة انصهارها بين ٥٠ و ٧١ مئوية . ومن المهم أن الأصناف المعروفة في الأسواق لا تحتوي الا القليل من الزيت لا لأن الزيت غير مرغوب فيه في أوجه الاستعمال الرئيسية فحسب بل لأنه قد ينتج عنه بعض الرائحة والطعم .

أما الشموع البرافينية غير المكررة تكريرا كاملا ، وتسمى شموع الانارة ، فهي شموع يقرب لونها من اللون الأبيض وتحوي مقدارا من الزيت أكبر بقليل مما تحويه الشموع البرافينية المكررة تكريرا كاملا ، أي نحو « ١,٥ في المائة بالوزن كحد أقصى » ، كما أن لها بعض الطعم والرائحة .

أما الشموع القشرية وشموع عيدان الثقاب فهي أقل تكريرا مما تقدم وتحوي نسبة من الزيت تتراوح بين ٢ و ٣ في المائة بالوزن .



وحدة التهذيب الحراري من المنشآت الحيوية التي تجري فيها مراحل معالجة البنزين وتحسين صفاته .

الشموع البلورية الدقيقة

وهذه الشموع ذات تركيب بلوري دقيق وتتكون بصورة رئيسية من برافينات متماكبة وبرافينات حلقية بالاضافة الى بعض العطريات ، وهي كما ذكرنا تستخلص من متخلفات مواد التزييت الثقيلة ، وتتراوح درجة انصهارها بين ٦٠ و ٩٠ مئوية ، وتختلف الشموع البلورية الدقيقة عن الشموع البرافينية في عدم قابليتها للضغط ، وفي وجود قابلية الطرد المركزي لديها التي تفتقر اليها الشموع البرافينية .

وتتلون هذه الشموع أحيانا باللون الأبيض ، الا انها في العادة تكون صفراوية أو عنبرية أو بنية اللون ، وأحيانا تكون سوداء . وهي تتدرج من حيث الثبات من مادة صلبة قصيفة الى مادة لدنة لينة ، ويتراوح مقدار الزيت الذي تحويه بين ٠,٥ في المائة و ٥ في المائة بالوزن .

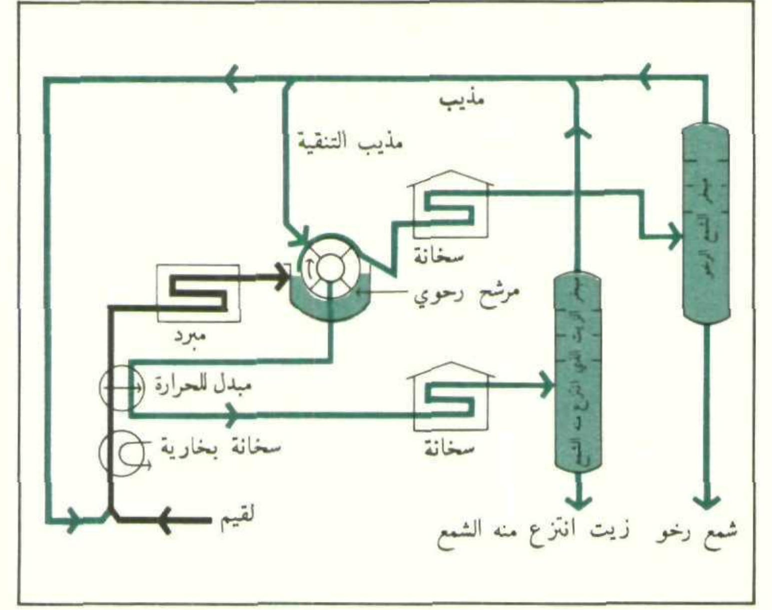
أما « السريزين — Ceresins » فهو نوع خاص من أنواع الشموع البلورية الدقيقة ويمتاز بوزن جزيئي عال وثقل نوعي ومعامل انكسار أعلى . أما الميزة الرئيسية التي تؤثر مباشرة في عمليات التكرير ، فهي قدرة السريزين على الاحتفاظ بنسب ملحوظة من الزيت اذا قورنت بالشموع البرافينية . وان اضافة بضعة أجزاء عشرية من السريزين الى شمع البرافين تحدث أثرا واضحا في خواص الضغط والتبريد للشمع . اذ أن وجود كميات متماثلة من السريزين وذرات الاثيلين وبعض المواد الأخرى في شمع البرافين يزيد من صلابة الشموع ويحول دون انحنائها السريع ، وذلك دلالة على التغييرات الهامة الناتجة عن تركيب البلورات الشمعية ، ويوجد السريزين أحيانا بشكل ترسبات في قعر الخزانات وخطوط الأنابيب ، وأحيانا ينفصل عن الزيت حول عمود الرفع في الآبار وفي هذه الحالة يدعى « بالشمع القضيبي — Rod Wax » وتتراوح درجة انصهاره بين ٨٠ — ١٠٥ مئوية . ولهذا يمكن تصنيف الشمع القضيبي على أنه أحد الشموع البرافينية ، وذو درجة انصهار عالية ، أما « هلام البترول — Petrolatum » فهو شمع بلوري دقيق ويحوي نسبة مرتفعة من الزيت .

الموالفة بين الشموع البرافينية والشموع البلورية الدقيقة

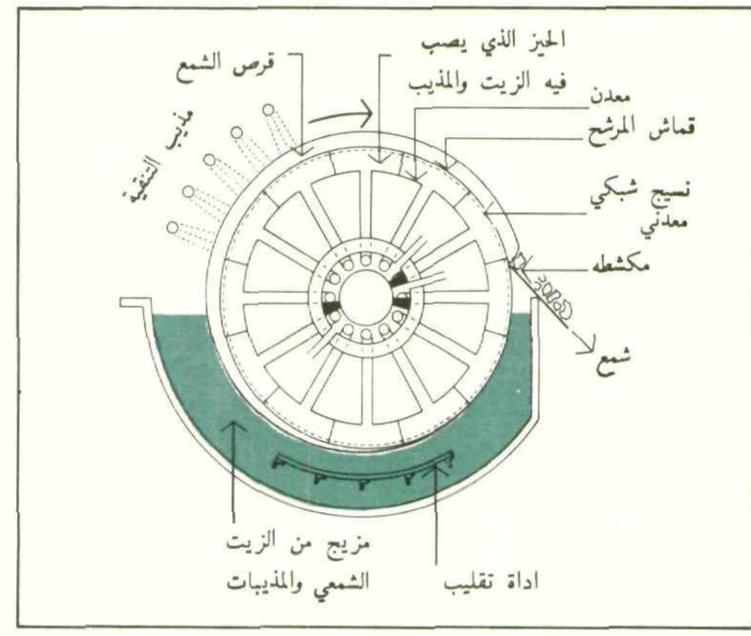
توالف الشموع البرافينية بالشموع البلورية الدقيقة باضافة بعض المواد الأخرى كالبلمرات مثلا وذلك لأغراض تسويقه ، وهي تباع جاهزة الصنع لاستعمالات معينة أو وفقا لما يطلبه المشتري . هذا وبالامكان موالفة الشموع البترولية بعضها ببعض أولا ثم بالشموع الطبيعية أو «الأولفينات — Olefins » ، وتحتاج عملية الموالفة بين الشموع عادة الى التسخين لدرجة تزيد على ٨٠ مئوية .

مستحلبات الشمع

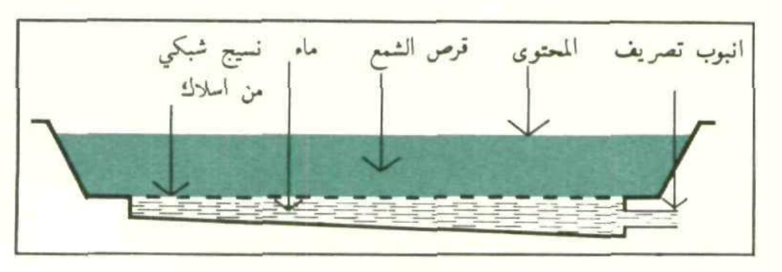
الاستحلاب هو نثر قطيرات دقيقة من سائل ما في الحجم الكامل من سائل آخر لا يمتزج به ، ويلزم لهذه العملية عنصر آخر هو المادة المستحلبة ، كي تبقى القطيرات منتثرة في مستحلب ثابت . ومستحلبات الشموع هي مستحلبات حقيقية « سائل في سائل » عندما تكون ساخنة ، الا انه قد لا يصح اطلاق هذه التسمية عليها بكل معانيها حينما تكون باردة.



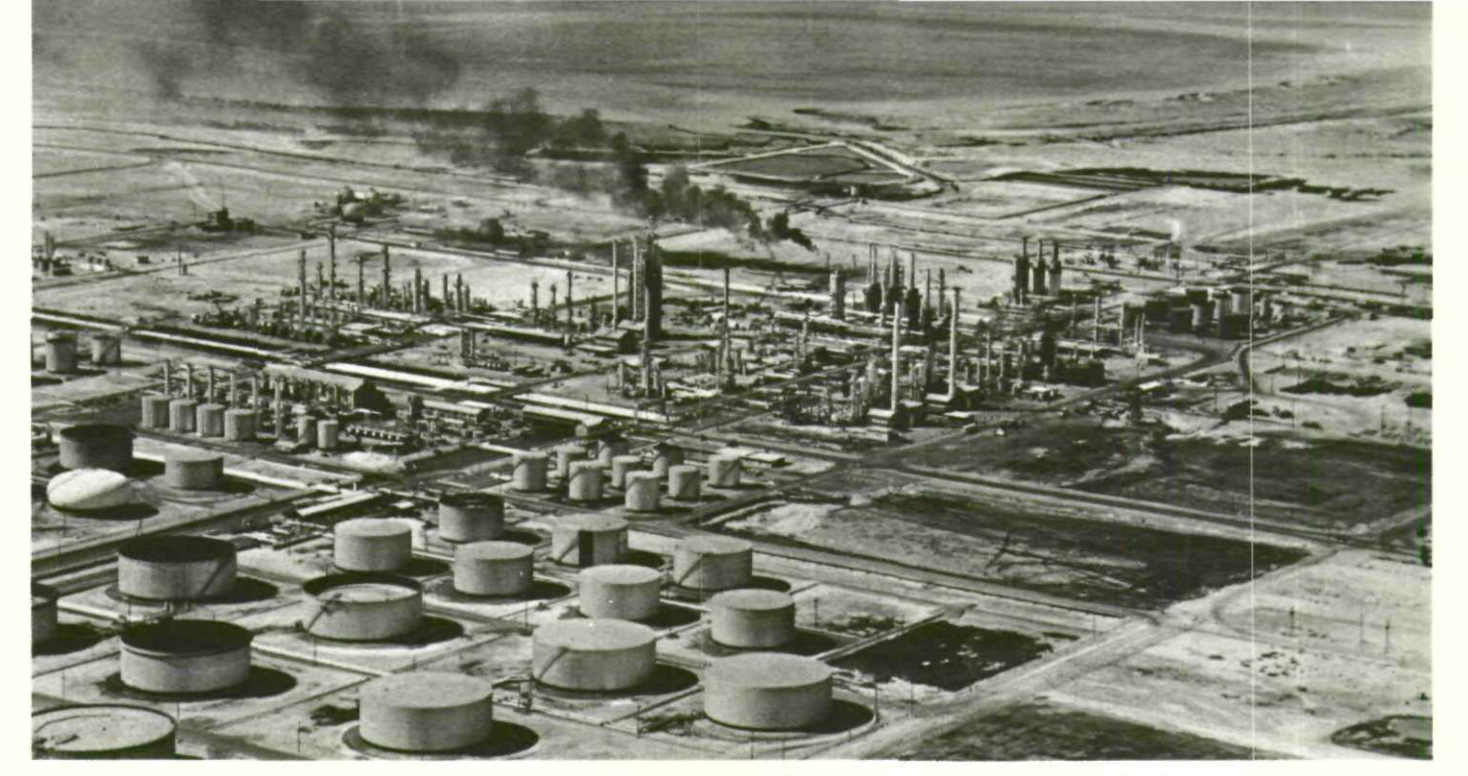
يبين هذا الشكل عملية انتزاع الشمع بواسطة المذيبات الكيماوية .



رسم يوضح عملية المرشح الرحوي الخاص بعملية فصل الشمع عن الزيت بواسطة المذيبات



رسم يمثل صينية تعريق الشمع التي تستخدم في عملية الفرز الطبيعي للشموع البترولية دون الحاجة الى الاستعانة بأي من المذيبات أو المركبات الكيماوية .



منظر جوي لمعمل التكرير في رأس تنورة حيث يجري انتاج وتصنيع أصناف مختلفة من المنتجات البترولية التي تستعمل في العديد من الصناعات الهامة .

ويستعمل الشمع البرافيني في بعض الأحيان كمستحلب مائي يحوي مقدارا من الشمع يتراوح بين ٤٠ بالمائة و ٦٠ بالمائة بالوزن . وتستعمل هذه المستحلبات بصورة خاصة في تغليف أو تشريب المواد الليفية ، كالأنسجة والورق ، وفي طلي المباني بطلاء مقاوم لرشح الماء وتسربه . وفي بعض المستحلبات ، تحمل جسيمات الشمع شحنة سالبة وفي بعضها الآخر تحمل شحنة موجبة . ويستحسن استعمال الشحنة الموجبة في معالجة الألياف التي تحمل شحنة سالبة وتميل بالتالي الى صد المواد التي تحمل شحنة مماثلة .

انتزاع الشموع البترولية من الزيت الخام

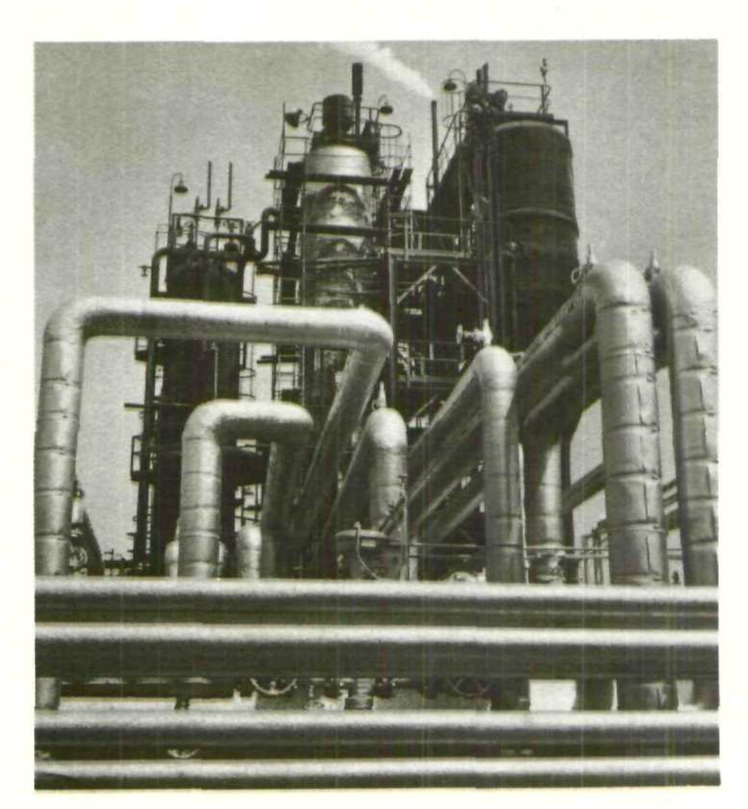
يرى مهندسو الزيت أنه من الضروري بمكان انتزاع الشموع من الزيت الخام تلافيا للأضرار التي تنجم عن تركها في مواد التزييت كالتأثير في فعاليتها أو تجمدها في درجات الحرارة المنخفضة . وقد كانت عملية انتزاع الشموع البترولية فيما مضى تتم بطريقة تبريد الزيت كي يتبلور الشمع . ثم يفرز هذا الشمع المتبلور عن الشمع السائل بالترشيح أو بالطرد المركزي . أما اليوم فقد ابتكر مهندسو تكرير الزيت طريقة حديثة لانتزاع الشمع يطلق عليها « انتزاع الشمع بالمذيبات — Solvent Dewaxing » . وتتلخص هذه الطريقة في ثلاث مراحل رئيسية هي : مزج الزيت بالمذيبات وتبريده ، وترشيح الزيت المبرد بواسطة المرشح الرحوي لفرز الشمع ، واستعادة المذيبات واستعمالها من جديد . ويستعمل في هذه العملية مذيبان هما : الطولوين — Toluene » الذي يذيب الزيت ويحفظ سيولته في درجات الحرارة المنخفضة ، و « الكيتون الأثيلي المثيلي — Methyl ethyl ketone » الذي يذيب نسبة ضئيلة من الشمع في درجات الحرارة المنخفضة ، ويعمل بمثابة عامل لترسيب الشمع . وبالاضافة الى هذين المذيبين ، يستعمل أحيانا مركب « البروبان » وأحد الهيدروكربونات المكلورة مثل « ثاني كلورو الميثان — Dichloromethane » للغرض نفسه .

ومن عمليات الفرز الطبيعي للشموع البترولية « عملية التعريق — Sweating Process » ، وهي تقوم على رفع درجة حرارة الشمع الجامد بصورة تدريجية بحيث يخرج الزيت من قرص الشمع في بادىء الأمر مصحوبا بالشموع التي تنخفض فيها درجة الانصهار أكثر من غيرها . وبرفع درجة الحرارة تتحول الشموع ذات درجة الانصهار العالية من حالة الصلابة الى حالة السيولة ثم تخرج . وبضغط درجة حرارة التعريق يزال الزيت والشموع التي تنخفض فيها درجة الانصهار والمعروفة باسم « الزيوت السفلى — Foot Oils » فيبقى قرص من شمع البرافين المتميز بدرجة الانصهار المطلوبة . وبهذه الطريقة يتم الحصول على شموع بارافينية كاملة التكرير لا يزيد مقدار الزيت فيها على ٠,٥ في المائة بالوزن . وتتم هذه العملية باستخدام « غرفة التعريق — Sweating Chamber » التي تحوي عددا من « صواني التعريق » أو « نفق التعريق — Sweating tunnel » الذي تركب صوانيه على حامل متحرك يندفع آليا من خلال نفق ساخن تضبط درجة حرارته بحيث ينتج عنها المقدار المطلوب من العرق ، وتصلح هذه الطريقة لانتاج أنواع من الشموع الممتازة العالية الجودة . كما أن هنالك جهازا يعرف باسم « موقد التعريق ذو الأنبوب العمودي — Vertical tube sweating stove » يستخدم في صنع هذه الشموع ذات النوعية الممتازة ، ومن حسناته أنه رخيص الثمن ، وسهل التشغيل ، وعالي الطاقة بالاضافة الى سعة مساحته وضبطه الجيد لدرجة الحرارة .

قولبة الشموع (Molding of waxes)

تتم قولبة الشموع البترولية بواسطة الاذابة والتبريد . وهنالك طريقتان حديثتان لعمل ذلك ، الأولى وتستعمل لقولبة جميع أنواع الشموع

في وحدة تقطير الزيت الخام ، يجري فصل منتجات الزيت الخام بعضها عن بعض تمهيدا لمعالجتها وفق المواصفات المطلوبة .



جانب من معمل انتاج الاسفلت في رأس تنورة حيث يجري انتزاع المواد الشمعية منه .

البترولية ، والثانية وهي المعروفة « بطريقة البثق » وتستعمل لقولبة الشموع البلورية الدقيقة .

وفي الطريقة الأولى يضخ الشمع المذاب داخل مبدلات حرارية لضبط درجة حرارته وابقائها على درجة ثابتة قبل تلقيم الشمع الى المكابس التي تفرغه بدورها في القوالب . وتكون القوالب محمولة على حزام ناقل يمررها في غرفة التبريد حيث يتجمد الشمع ويخرج على هيئة قطع صلبة متراصة ، وبعد خروج هذه القطع تنتقل تلقائيا الى حزام آخر يحملها الى غرفة التخزين أو الى ماكنة التعبئة الأوتوماتيكية . وأما في « طريقة البثق » فيتم تبريد الشمع أثناء مروره في آلة ذات نوابض لولبية ، ومن هذه الآلة يدفع الشمع الى قالب يخرج منه على هيئة شريط متصل يتم تقطيعه فيما بعد الى ألواح بالأحجام المطلوبة بواسطة مقصات كهربائية . وبعد ذلك يمرر الشمع خلال الماء البارد لازالة قابلية الالتصاق منه .

استعمالات الشموع البترولية

تشكل الشموع البرافينية أكبر نسبة من الشموع البترولية المنتجة ، وقد ظلت الشموع البرافينية تستعمل في صنع شموع الانارة لمدة طويلة وذلك بدلا من شموع النحل والدهون والشحوم الحيوانية . أما في الوقت الحاضر فقد امتد استعمالها الى مجالات أخرى متعددة يأتي في مقدمتها تغليف المأكولات والحليب ومشتقاته وعصير الفاكهة وما الى ذلك . وأهم تلك الاستعمالات :

شموع الإنارة

ان نسبة الشمع المستعمل لصنع شموع الانارة لا تزيد على ٢٠ في المائة من مجموع انتاج الشموع البرافينية . ويزداد الطلب على هذه الشموع رغم انخفاض استعمالها في انارة المنازل وذلك لأغراض الزينة والاضاءة الخفيفة وتسخين أطباق الطعام وبعض المناسبات والاحتفالات الأخرى . كما يستعمل الشمع البرافيني في صنع الثقاب اذ تشرب به الأعواد فتشتعل بسهولة . وتستعمل لهذه الصناعة الشموع الرخيصة التي تنخفض فيها درجة الانصهار . وهي تستعمل في صنع جميع أنواع الثقاب المصنوعة أعواده من الخشب أو من الكرتون . وكذلك يستعمل الشمع البرافيني في صناعة المفرقعات والألعاب النارية وفي صنع المشاعل .

تشميع الورق والكرتون

يستعمل الشمع كوسيلة ممتازة لوقاية الورق والكرتون من الماء . وذلك لكونه نظيفا لا رائحة ولا طعم له بالاضافة الى أنه خامد كيماويا ومقاوم للأحماض والقلويات والأوكسجين في حرارة الجو العادية . وحتى في حالة استعماله على شكل أغشية رقيقة فان الماء لا ينفذ منه ، وبذا يشكل سطحا مانعا يحول بين الماء والمادة المعالجة به .

تشميع الورق

ويتم تشميع الورق اما بالتغليف أو بالتشريب . ففي حالة التغليف يمر الورق من خلال أسطوانتين حارتين ، تحمل احداهما أو كلتاهما



رسوم لبعض الاستعمالات الرئيسية للشموع البترولية .

شمعا مذابا يؤخذ من حوض ساخن ، وحين يبرد الشمع يتكوّن منه غشاء متصل . وهنالك طريقة أخرى تتلخص في تمرير الورق في حمام من الشمع المذاب ثم في تبريده بواسطة الماء البارد أو بواسطة أسطوانات مبردة بحيث يكون الشمع غشاء لماعا متصلا . ويستعمل لهذا الغرض مزيج من الشمع البرافيني والشمع البلوري الدقيق ، فتتميز الطبقة الشمعية بمرونة أكثر ولا تتعرض للتفتت . ويستعمل الورق المغلف بالشمع في تغليف المأكولات التي تتأثر بتقلبات رطوبة الجو .

أما عملية تشريب الورق فتجري بغمسه في حمام من الشمع المذاب ثم بادخاله بين أسطوانتين حارتين بحيث يتم امتصاص معظم الشمع فلا يبقى منه الا القليل على سطح الورق . والورق المشرّب بالشمع يستعمل لصنع الأكواب والأكياس الورقية ويستعمل الشمع البرافيني البسيط لهذا الغرض .

تشميع الكرتون

يستعمل الكرتون المشمع في عدة أغراض مهمة كصنع صناديق تعبئة الحليب وعصير الفاكهة وما الى ذلك من المأكولات . وتغلّف هذه الصناديق بالشمع بغمسها في الشمع المذاب بعد اتمام صنعها أو بادخال أجزائها بين أسطوانتين تحملان شمعا مذابا ، أما أكواب الشرب فتشرب بالشمع اما بغمسها أو برشها به بعد تصنيعها ، وأحيانا تدخل الأكواب في فرن حار كي تتشبع بالشمع . ويستعمل لهذه الأغراض مزيج من الشمع البرافيني والشمع الدقيق التبلور أو المبلمرات أو جميعها وذلك لتكوين غشاء قوي غير قابل للكسر أو التثني .

تشميع الأنسجة

تعالج الأنسجة بمستحلب الشمع وذلك لجعلها أكثر مقاومة لتسرب الماء ، ولكنها تبقي فرجات الهواء مفتوحة ، ويعالج النسيج أيضا بالشمع حتى تكتسب المنسوجات المصنوعة منه نعومة .

تشميع المواد الغذائية

تشمع بعض المواد الغذائية والمأكولات مباشرة بغطاء سميك من الشمع كما في الجبن مثلا وذلك لصيانتها وعدم تسرب البكتيريا والتلف اليها ، أما في حالة الخضار والفواكه فيكتفى عادة بغطاء شمعي رقيق يحد من تبخر الماء . ويجري تشميع تلك المواد اما بغمسها في الشمع المذاب أو برشها بمستحلب أو محلول من الشمع في مذيب قابل للتطاير .

سبك المعادن

يستخدم الشمع في العملية المعروفة باسم « السبك بطريقة الشمع المتبدد (Lost wax process) حيث تصنع منه صورة مماثلة للقطعة المراد سبكها ، وتغلف بمادة مقاومة للصهر . ولدى صب المعدن الحار يذوب الشمع ويحل المعدن محله . ومن الاستعمالات الأخرى التي يدخل الشمع في صنعها المطاط اذ يمزج به لتحسين خصائصه ولوقايته من التلف السريع . كما يستخدم كمادة عازلة للأسلاك الكهربائية ذات الضغط العالي ، وكلقيم لانتاج المنظفات ومواد التلميع والأقلام الملونة . وفي المجال الطبي فهي تستعمل كحمامات لنقل الحرارة اللازمة لعلاج التهابات المفاصل وفي اعداد كثيرة من العقاقير الطبية ومستحضرات التجميل ■

ن. م.

تصحيح

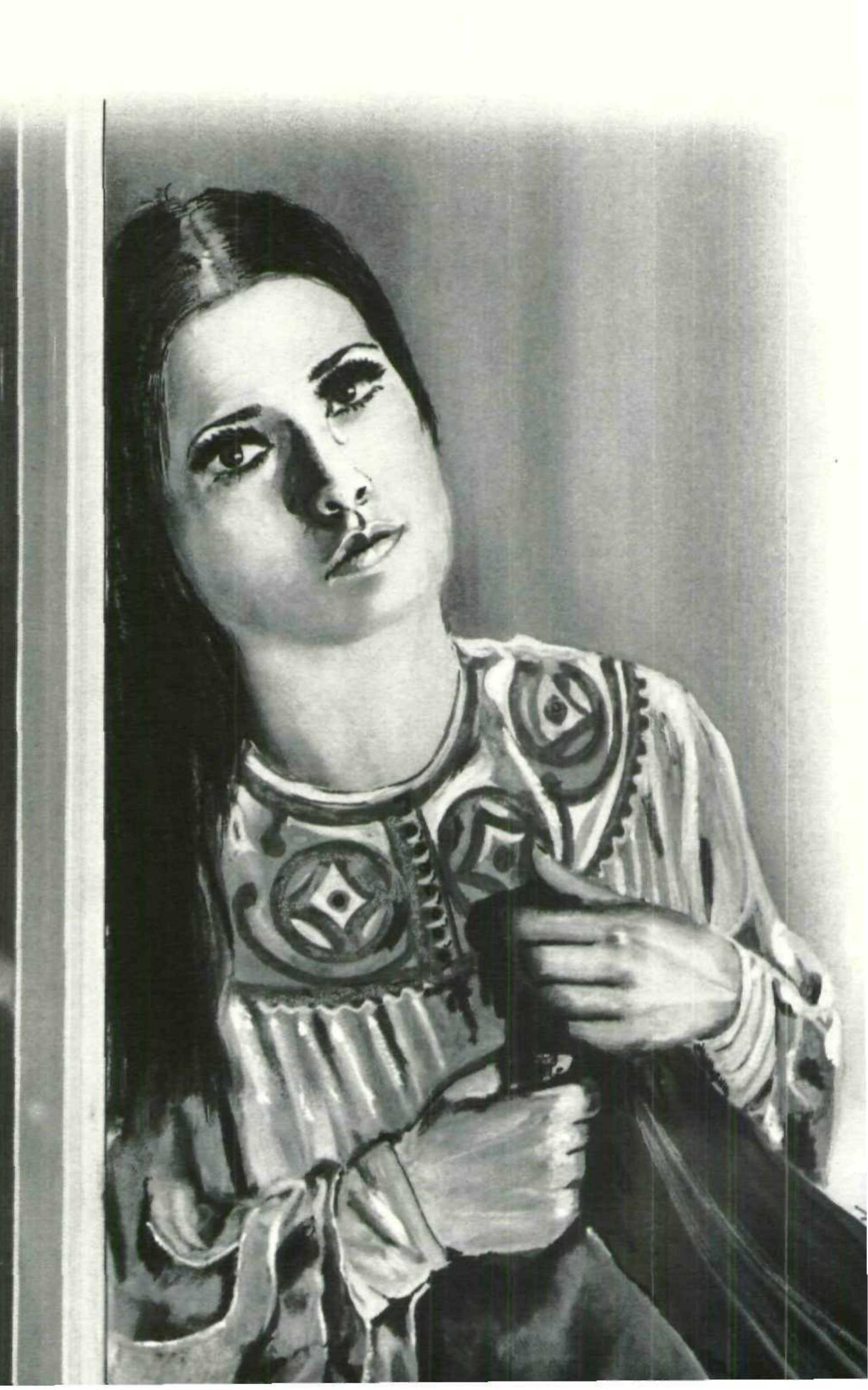
تحريا للدقة والصواب نشير الى خطأ غير مقصود وقع في عنوان المقال المنشور على الصفحة الثالثة من عدد ذي الحجة – ١٣٩٠ . فالعنوان الصائب هو « حجة الوداع » وليس « حجات الرسول الكريم عليه السلام وحجة الوداع » كما ورد سهوا .

هيئة التحرير

قصة

وحيدة

بقلم الاستاذ عبد العزيز ضياء



استيقظت من نومها لتدرك في لحظات ان ما بدا لها حلما كان حقيقة .. كانت السماء تمطر ، وتصفع زجاج النوافذ المغلقة في عنف كأنها ، وقد رأتها نائمة على فراشها الوثير ، تريد أن تقتحم الحواجز والسدود لتوقظها ولتقول لها : « هذه هي اللحظات التي طالما أحببتها وانتشيت بكل ما تبعثه في النفوس من مشاعر الحنين الغامض والأشواق التائهة .. فكيف يصح لك أن تنامي . »

وعلى أضواء البرق التي كانت تتلامح وتتلاحق كضحكات غادة مرحة ، رأت « نامية » فروع شجرة النبق الكبيرة وهي تتلوّى وترتعش أمام رياح الشمال ، وقطرات المطر المنهمر تنحدر وهي تتسابق على زجاج النافذة ، وكأنها الدموع يذرفها احساس قلب برّحت به الأشواق الى لقاء حبيب .

وكان صخب الرياح والرعد والمطر المنهمر هو كل ما تسمعه « نامية » في هذه الغرفة التي ظلت غرفة نومها منذ بلغت الرابعة عشرة من عمرها .

وانها لتذكر كيف كانت فرحتها بالغرفة وبكل ما فيها من أثاث .. بالسرير الوثير ذي الغطاء الأحمر ، وبالدولاب الكبير الذي نقلت اليه فساتينها ولوازمها الصغيرة ، ثم بالمرآة ، التي نثرت على قاعدتها زجاجات العطور ، والأمشاط والمشابك ، والأشرطة الحريرية الملونة التي تذيل بها ضفائر شعرها الطويل .

وقفت يومها أمام المرآة والى جانبها أمها وأبوها ، وهما يضحكان ويقول أحدهما للآخر .. هذه « نامية » قد نمت فعلا ، ليس بين كتفها وكتف أمها الا أربع أصابع ، .. لقد أصبحت « عروسا » .

وحين خرجا من الغرفة وظلت هي ، لأول مرة ، وحدها ، وقفت مرة أخرى أمام المرآة ، تتأمّل غمّازتي الحسن اللتين طالما سمعت من لداتها أنهما تقعان في أجمل موقعين من وجنتيها . ثم تستدير نصف استدارة لترى شعرها الطويل الذي ظلّت أمها ترفض أن يقص وهي تقول : هذا الشلال من الذهب ، يجب أن لا تمسّه يد الماشطة .. انه أغلى كنوز الجمال ...

وظلت كلمة « عروس » بكل ما يكتنفها من صور وأحلام ، تتردد على ذهنها كلما لمحت صورتها وقوامها ، واستدارات جسمها في هذه المرآة ، التي تلاحقها أينما تحركت على السرير أو حوله ، أو أمام الدولاب الكبير .

كان ذلك منذ أربعة عشر عاما .. وهي الآن في الثامنة والعشرين .. ما تزال هنا في هذه الغرفة التي ضاقت بأحلامها طوال هذه المدة ، حتى ليخيل اليها أحيانا انها تدوس في كل شبر منها جثث هذه الأحلام الجامدة .. حتى زجاجات العطور ، وحتى الأمشاط ، بل وحتى مشابك الشعر أصبحت مجرد أحلام جامدة. لا حركة فيها ولا حياة ولا قدرة على ايقاظ المشاعر وبعث الأماني والآمال .. كم كانت كل زجاجة من زجاجات العطور المختلفة قادرة على أن تهمس في أذنها بأمل . أن توقظ في قلبها أحاسيس ومشاعر .. وهذه المشابك كيف كان كل منها ، كلما عقصت به خصلة من شعرها ، يحدثها عن احتمالات ومفاجآت تظل تنتظرها يوما بعد يوم . ثم حين مضت كل هذه السنين دون أن يجد جديد ، أصبحت كغيرها بالبكم ، لا تستطيع أن تفعل شيئا أكثر من أن تربض في المكان الذي توضع فيه من نهر الذهب ، وهو ما يزال نهرا رائعا يخطف بأمواجه ، شهقات الأعجاب كلما رأتها عيون لم يسبق ان رأتها من قبل ..

واستمر صخب الريح ، وقصف الرعد ، وهطول المطر ، و « نامية » في فراشها ، ترنو الى فروع شجرة النبق وهي تتلوى ، وقطرات المطر وهي تتسابق منسابة على زجاج النافذة ، وأضواء البرق وقد أخذت تفقد وهجها الخاطف ، أمام طلائع الفجر .

وأحست « نامية » أن عينيها لم تعودا تريان الكثير ، وان دموعها وقد بللت الوسادة تحت رأسها ، قد بردت تحت خدها ، وأن صدرها يهتز بما يزدحم فيه من مشاعر الأسى والشقاء .. ولم تستطع أن تقاوم زحمة الانفعالات وهي تصطرع في أعماقها ، فأسلمت نفسها لعاصفة من نحيب خنقته بوسادة وضعتها على رأسها وأحاطتها بذراعيها وخنقت معه صخب الريح والرعد والمطر ، ومنظر شجرة النبق وراء زجاج النافذة ، وكأنها تخفي ، عن ألف عين تحيط بها ، وجودها الذي بدا لها تافها لا يستحق أن يشعر به مخلوق .. في هذا الكون الكبير .

ولا تدري كم مضى من الوقت ووجهها بين الوسادتين وأصابعها متشنجة وهي تمسك بأطراف الوسادة الرابضة على رأسها .. وسمعت الطرقات الحذرة الرقيقة نفسها التي تسبق دخول أبيها الى غرفتها ليوقظها كل صباح .. ومع ذلك لم تستطع أن تخف الى لقائه كما هي عادتها أن تفعل .. ظلت حيث هي ، ولا رجاء لها الا أن يظنها ما تزال نائمة فيتركها بعد أن يردد الكلمات نفسها التي ما زال يدللها بها كلما جاء لايقاظها في الصباح .

وسمعته يقول في صوته الدافيء الحنون .. وبنبرة لا تخلو من دهشة ضاحكة : الرعد والمطر وما تزالين نائمة !؟ نامية .. نامية .. هيا انهضي واستمتعي بأجمل يوم ..

ولم يغادر الغرفة كما يفعل أحيانا .. انتظر قليلا ، وحين لم يسمع منها اجابة ، ولم يرها تتحرك ، أقبل عليها وهو يقول بلهفة وقلق : نامية .. نامية .. هل أنت بخير يا بنيتي ..؟

وحين جاء يرفع الوسادة عن وجهها ، رأى الدموع التي ظلت تذرفها دون انقطاع ، منذ أيقظها صخب المطر المنهمر حتى هذه اللحظات من الصباح .

وكان أبوها من أرق خلق الله شعورا ، لا يطيق أن يرى عيونا باكية ، ولا يحتمل أن يشهد مخلوقا يتعذب ، وهي تعرف كيف يقع من نفسه بكاؤها .. يبلغ به الأمر أن يأخذها بين ذراعيه ورأسها على صدره ، فاذا رفعت اليه وجهها انهمرت الدموع من عينيه ، فاذا لم تكف عن البكاء ظل يدللها ويبتكر ألف حركة وحركة ، ليحملها على الضحك ، فلا تكاد تضحك حتى يعاوده البكاء فرحا ، بضحكتها وبقدرته على تبديد أحزانها .

ولم يساورها شك في أنه يعرف لماذا تبكي في هذا الصباح .. ومع ذلك فقد كان لا بد أن يسألها عما يبكيها .. وكان لا بد لها أن تجيب .

ولكنه لم يسألها شيئا هذه المرة .. كأنما قد أدرك أن أحزانها أكبر من أن يستطيع تبديدها بمألوف الأسئلة ، ومألوف كلمات التسرية والتدليل .. التزم الصمت وحين جلس على المقعد رأت عينيه تفيض بالدموع ..

ولأول مرة وجد الجرأة على أن يقول لها انه هو أيضا لا يدري ما الذي يصد الشباب عن التقدم لخطبتها وزواجها . وفي صوته الدافيء الحنون ، والعبرات تخنقه كلما هم بالانطلاق في الكلام . قال : كلما راجت اشاعة عن خطيب يهم بطلب يدك ، نفرح ونقضي أياما ننتظر ونترقب ، ثم تذوب الاشاعة وتمضي الأيام ، ويتزوج الشاب فتاة أين هي منك جمالا ونسبا ومكانة وثقافة وأخلاقا .. ترى هل صحيح ما تردده جدتك من أن هناك من « شعوذة » تصد عنك كل من يفكر في طلب يدك ..

ولم تجب « نامية » بشيء ، فقد أدركت لأول مرة أن ما يحمله أبوها من همها ، وما تعانيه أمها من القلق عليها لا يقل بحال عما تعانيه هي ، وأدهشها أن لا يجد أبوها حرجا في أن يتكلم معها بصراحة في هذا الموضوع الحساس الذي لم يتحدث فيه معها قط .

والشعوذة التي تتحدث عنها جدتها .. كيف يمكن أن يتقبلها عقل أبيها وهو الرجل الذي نجح دائما في تعليل كل ظاهرة غامضة أو مشكلة مستغلقة على ضوء العقل والمنطق ؟... أدركت نامية عمق المعضلة التي تعيشها الأسرة كلها بسببها فقد بلغ بها الأمر أن لا تجد تعليلا لصدوف الخطاب عنها الا في الشعوذة التي يتقبلها عقل جدتها .

وطال صمتها ، ولم يجد أبوها ما يقوله بعد الذي قال .. فالتزم الصمت ، وان كان في وجهه المحتقن وعينيه الدامعتين ما يغني عن الكثير مما يريد أن يقول .

وقالت في النهاية : كلا .. ليست المسألة مسألة شعوذة يا أبي ..

وكمن يفيق من اغماء طويل تنبه الى ما قالت : فتساءل .. فما هي اذن ؟

قالت : المسألة هي أني وحيدتكما .

قال : وحيدتنا ؟.. وماذا في أن تكوني وحيدة أبويك ؟

قالت : كل الناس يعلمون أني أعيش في مستوى من الدلال والرفاه والرغد ، لا يمكن أن يوفره لي أي زوج . كلهم يعتقدون اني لا أصلح زوجة لأي شاب كادح متوسط الحال ، لأنه لا يستطيع أن يوفر لي مستوى الحياة الرغدة التي أعيشها في بيتي .

وقال أبوها : ولكنهم يعلمون أني لست أكثر من رجل كادح متوسط الحال ، لست غنيا ، وليس في حياتي أكثر مما في حياة أمثالي من متوسطي الحال .

قالت : فعلا .. ولكنك تنفق معظم دخلك علي .. انك تنفق علي ما لا ينفقه غيرك على سبع بنات .

قال : وما دخل الناس في هذا ؟

قالت : انهم لا يستطيعون أن ينفقوا على الزوجة ما تنفق أنت على الابنة .

قال : ومن الذي طالبهم بأن ينفقوا على الزوجة ما ينفق الأب على ابنته .

قالت : لم يطالبهم أحد ، ولكنّهم يخشون أن يكون هذا هو ما أطلبه أنا من الزوج .

قال محتدما : ولكن كيف .. كيف نفهمهم انك لن تطالبي الزوج بما تعوّدت من الأب ؟؟

قالت : فعلا .. هذه هي المشكلة .. كيف يفهم الناس أن حياتي في كنف أبي مرحلة من العمر ، وان حياتي زوجة وأماً هي كل العمر .

قال : حسنا .. لقد استطعنا – أنت وأنا – أن نواجه الحقيقة ، وأن نضع أيدينا على العقدة التي طال خفاؤها علينا – أقصد عليّ أنا كل هذه السنين .. ونستطيع بعد هذا أن نحاول العلاج .. دعي الأمر لي ، وانهضي الآن .. انهضي واستمتعي بأجمل يوم .. أنظري . ما تزال السماء غائمة ، وما يزال في السحب ما يعد بيوم مطير .

ودخلت أمها تسبقها ضجتها المألوفـــة مع الخدم ، وما كادت عيناها تقعان على « نامية » وأبيها ، حتى شهقت مفجوعة طائرة القلب . لم ترهما قط يبكيان كما تراهما الآن ، وخطر في نفسها أن أمرا رهيبا قد وقع .. وكادت توالي الشهقة بشهقات ، لولا ان نهض اليها أبو نامية وهو يقول : « ليس هناك شيء .. كل ما في الأمر انها قصّت عليّ رواية محزنة قرأتها البارحة وقد بكت ، وبكيت معها » ، فأفرخ روعها وأقبلت على ابنتها تقبلها وتدللها ، ثم نهضت وهي تذكر بأن المائدة تنتظر .. وانها في هذا اليوم المطير ستطهو لهم أرزا وعدسا ، وعلى أبي نامية أن يبعث الولد لشراء سمك مجفف ، فليس ألذ منه مع الأرز والعدس في هذا اليوم .

ومرّت أيام وأبو نامية يدير ما سمع من ابنته في ذهنه ويقلبه على وجوهه الكثيرة ، ويتلمّس بين كل وجه وآخر حلا من هذه الحلول التي لا تكاد تظهر متماسكة مقبولة حتى تنهار لهذا السبب أو ذاك .

ولم يطل به الأمر على أي حال ، فقد جاء ذات يوم قبيل موعد عودته في الظهر ، والبشر يملأ وجهه والفرحة تطفر من عينيه .. وما كاد يرى زوجته حتى أخذها من يدها وانطلق بها الى غرفة نومهما وهو يقول : اسمعي .. ستتزوج نامية في نهاية هذا الشهر .. اياك أن تزغردي ، واحذري أن تقولي لها شيئا قبل أن أتحدث اليها أنا .

وقبل أن تسأله عن العريس بادرها هو قائلا : وهل تعرفين من هو العريس ؟ ولكن من أين لك أن تعرفي ؟ أنا أقول لك انه ابراهيم ظافر ، هل عرفته ؟.. كان يدرس في الخارج وقد عاد منذ أسبوع . وقد زارني اليوم وقضينا بعض الوقت.. وخطب نامية . فما رأيك ؟

فقالت : ولكن .. ولكن كيف يستطيع ابراهيم أن يتزوّج وهو لم يجد عملا بعد .. ومن أين له تكاليف الزواج ؟

قال : لقد وجد العمل .. وأكّد لي أنه مستعد بجميع ما يطلب منه .. يظهر انه ورث بعض المال من أبيه .

قالت : غريبة .. ان أمه ظلت طوال السنوات الثلاث الماضية ، تؤكد أن المرحوم زوجها لم يترك لها شيئا .

قال : على كل حال ، ما لنا وما تقول .. ابراهيم يؤكد أنه مستعد للقيام بكل ما يترتب على الزوج .. والمهم الآن أن توافق نامية .

وافقت نامية ، وتمّ زواجها في نهاية الشهر من ابراهيم في حفل بهيج لم تر المدينة أجمل منه ولا أروع وقدّم ابراهيم « تصبيحة » غالية أدهشت كل من رآها .

ومرت سنوات ، وابراهيم يتدرّج في وظائف الدولة ، ويتمتع بثقة رؤسائه وثنائهم على عمله ، وينعم بحياة زوجية سعيدة رخيّة وبأطفال ثلاثة أكبرهم على أبواب المدرسة الابتدائية .

وكان في منزله ذات مساء يتأهّب للخروج مع زوجته في سيارته لنزهة قصيرة ، حين جاء أبو نامية على غير موعد سابق ، وفي يده ورقة من هذه الأوراق التي تكتب عليها الأحكام والصكوك في المحاكم . وأدركت نامية أن والدها يريد أن يتحدث الى ابراهيم حديثا خاصا لعلّه لا يحب أن تسمعه ، فغادرت الغرفة مستأذنة لقضاء بعض شؤونها البيتية .

وما كادت تخرج : حتى قال أبو نامية : جئتك في أمر يا ابراهيم .. هذه حجة البيت .. وهو كل ما بقي لي وأنا مدين بمبلغ كبير .. أريد أن تتوسط لي في قرض لدى أحد البنوك ، فانك على صلة بالكثيرين ممن لا أعرفهم . فاذا لم أسدّد المبلغ خلال سنتين فلهم أن يبيعوا البيت ، وقد دفع فيه أحد التجار منذ أسبوع مائة وخمسين ألف ريال .

وامتلأت عينا ابراهيم بالدموع .. ونهض يعانق أبا نامية ويطبع قبلة على جبهته ، ثم قال : لقد ادخرت يا عم مبلغ ثلاثين ألف ريال كنت أريد أن أشتري به أرضا وأبني عليها منزلا .. ولكني أعرف اني مدين لك بعد الله بكل شيء .. بالعمل الذي وجدته بواسطتك ، وبالزوجة الصالحة وبالأولاد . وبجميع التكاليف التي دفعتها أنت ، ولم يدر عنها أحد حتى اليوم . لقد أقسمت لك أن لا أقول شيئا عن الواقع لأحد ، وقد التزمت بما أقسمت عليه .. وان كنت أتمنّى أن يعلم كل مخلوق في هذه الدنيا . اني مدين لك بكل شيء .

وهتف أبو نامية هامسا : حذار أن تسمع نامية أو أمها أو أي مخلوق بذلك .. وخذ الحجة الآن فاذا لم توفق الى قرض من أحد البنوك ، فاني لا أحتاج الى أكثر من خمسة عشر ألف ريال

ودخلت نامية بعد قليل وبين يديها الأولاد ، ونهض الجميع الى السيارة ، وأصغر الأطفال بين ذراعي جده يصرّ على أن يصحبهم في نزهـــة الى شاطيء البحر ■

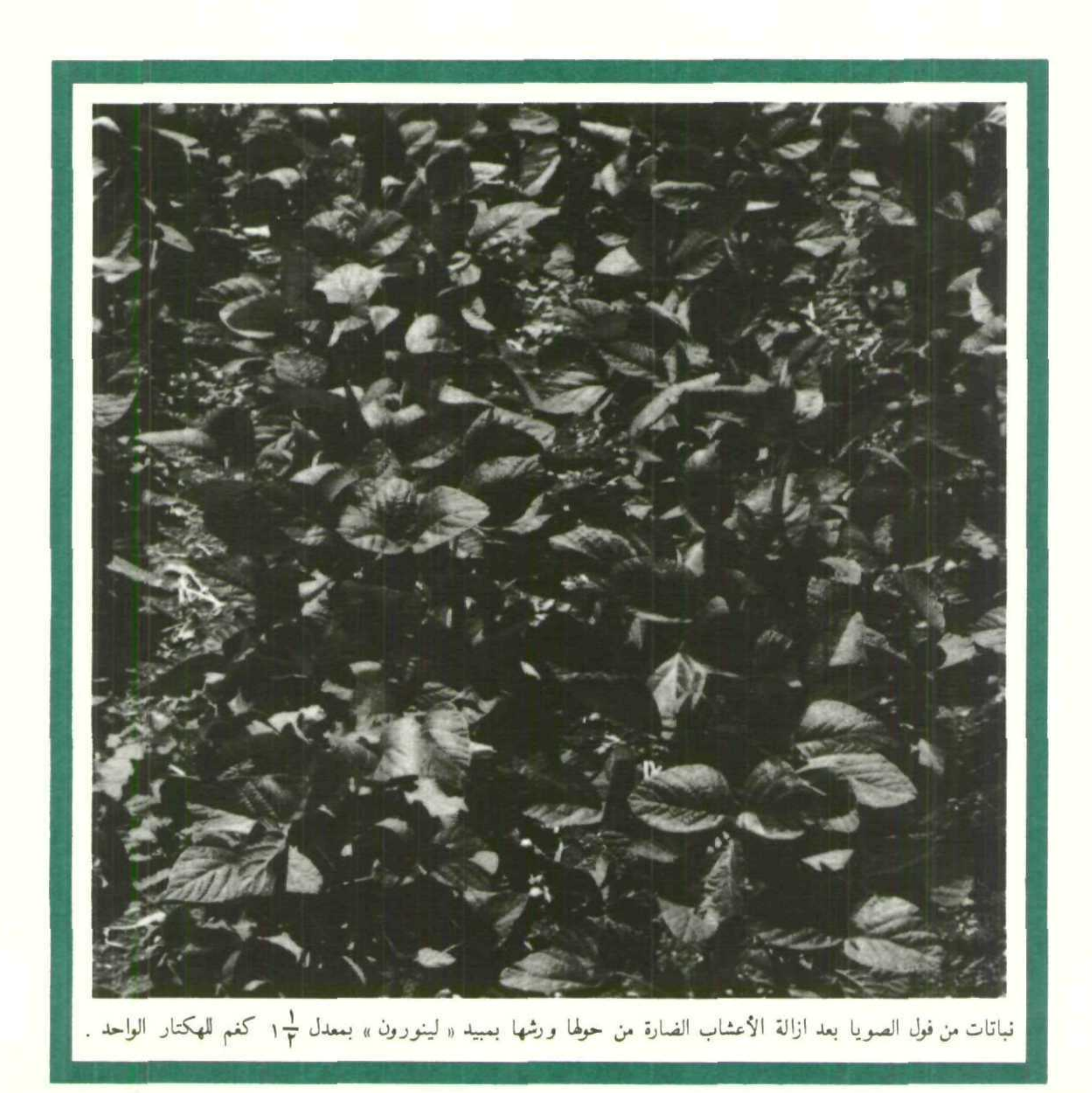


للشاعر احمد ابراهيم الغزاوي

هي الصبّر ، الا أنها الصّبر يُلعق — تنوء به النفس امتعاضا ، وتزهق
بها الله وصى المؤمنين ليظفروا — وما هي الا الكبت من حيث يطبق
ولهت بها طفلا غريرا – ويافعا — وكهلا ، وشيخا واهنا ، يترفق
وسدّدت خطوي نحوها متطلعا — لما هو حق مستقيم ، ومنطق
أحصن أخلاقي اذا هي جوبهت — وألتمس الحسنى وأحنو ، وأشفق
وما ذاك الا أنني متعفف — عن الاثم ، أسمو فوقه وأحلق
تمرست بالآفات ، وهي مريرة — بها كل حلقوم ، يغص ، ويشرق
وما زلت رغم اللائمين أسوغها — وأرغم أنف الكبرياء ، وأطرق
ويرمضني شوك القتاد بوخزه — وأخضده في راحتي ، وأعبق
أحاول أن أحيا سليما مبرئا — من الحقد ، لا ألغو ، ولا أتملق
توقيت من نفسي الولوع .. شرورها — وقيدتها – عن كل ما هو مطلق
فكان عنائي !! بالذي هو خادع — يكابر ما لا ريب فيه !! ويزلق
مثالية تجني عليّ لأنني — بها أنا أبغي المستحيل .. وأخفق
تلقنت منها أي درس ثقفته — به الروح تصلى !! والتباريح تعمق
لها الثمن الغالي ، وما هو جوهر — ولكنه قلبي الذي يتدفق
وبالرغم – مما حملتني من الضنا — فما زلت فيها ثابتا أتوثق

الأعشابُ الضارّة وطُرقُ مكافحتِها

بقلم الدكتور عبد الرحمن الصغير



نباتات من فول الصويا بعد ازالة الأعشاب الضارة من حولها ورشها بمبيد « لينورون » بمعدل $1\frac{1}{2}$ كغم للهكتار الواحد .

تعدّ مشكلة الأعشاب الضارة من كبريات المشاكل التي تتعرض لها مختلف المزروعات ، وذلك لأن الأعشاب تنافس النبات في غذائه من التربة ، وفي الحصول على قسم وافر من أشعة الشمس ومياه الري مما يسبب نقصا في الانتاج وضعفا في الجودة وزيادة في تكاليف تغذية التربة وريها . بالاضافة الى ذلك ، فان الأعشاب تشكل مصدرا غذائيا لكثير من أنواع الفطريات والحشرات التي تحمل معها أحيانا الفيروسات وتنقلها الى المزروعات المختلفة فتلحق بها أضرارا تؤثر في مستواها الانتاجي .

ويمكن لهذه الأعشاب أن تلحق بالانسان أضرارا مباشرة ، ذلك لأن بعضها يحتوي على مواد سامة أو مهيجة للجلد ، كما انها تعرقل سير المياه في المجاري المائية ، وتعطل استعمال البحيرات والطرقات خلال النزهات والرحلات الترفيهية . لذلك يمكن القول بأن الأعشاب لا تؤثر فقط على المزارع في أرضه ولكن تؤثر أيضا على المواطن وعلى البيئة بأجمعها . لهذه الأسباب وجب علينا أن نستعرض الطرق المختلفة لمكافحة هذه الأعشاب .

كيفية مكافحة الأعشاب

■ يمكن منع انتشار الأعشاب الضارة في الحقول وذلك باستخدام بذور جيدة غير موبوءة . ووضع قوانين صارمة لمنع انتقال أية بذور أو نباتات موبوءة من خارج البلاد . كذلك يجب على المزارع نفسه ، وبالتعاون مع جيرانه من المزارعين ، أن يقوم بحملة لابادة الأعشاب الموجودة على جوانب الحقول والطرقات والمجاري المائية لأنها تشكل مصدرا دائما لانتشار الأعشاب اما بواسطة الهواء أو الماء أو الحيوانات ، أو بواسطة المزارع نفسه حيث تعلق في ثيابه أو حذائه . ومن الضروري أن يقوم المزارع أيضا بتنظيف مختلف الآليات والأدوات المستعملة في الأعمال الزراعية قبل انتقالها الى الحقول النظيفة .

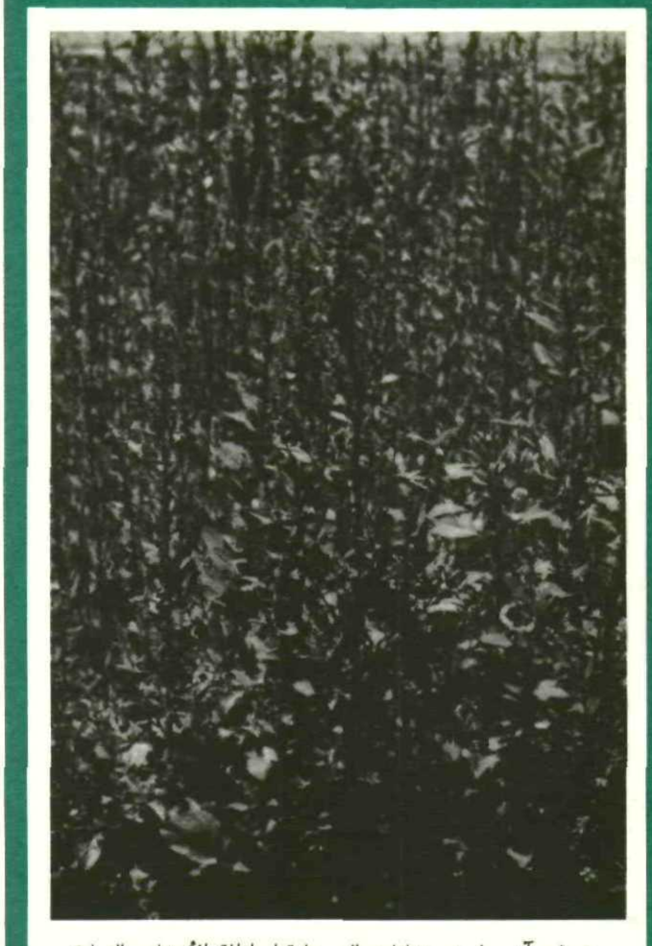
■ وبالاضافة الى ما تقدم ، فان هنالك طرقا مختلفة لمكافحة الأعشاب ، يمكن تقسيمها الى أربع فئات :

■ **الطرق الميكانيكية :** وتشمل الوسائل المختلفة التي كان يلجأ اليها المزارع منذ مئات السنين ، ولا يزال ، وهي تعشيب الأرض بواسطة اليد ومن ثم استعمال العزق بواسطة الآليات الزراعية لازالة الأعشاب أو حرثها . كذلك من الممكن في بعض الأماكن الكثيرة المياه ، اغراق المساحات الموبوءة بالأعشاب بالماء لمدة قصيرة ثم القيام بتجفيف الأرض وزرعها . أما في الأماكن الجافة فيمكن حرق الأعشاب عند يبسها . ونظرا لارتفاع أجر اليد العاملة فانه يمكن الالتفات الى طرق أخرى مفيدة واقتصادية معا .

■ **الطرق البيولوجية :** وهي تقوم على أساس استعمال الكائنات الحية كالحشرات والطيور والأسماك لمكافحة الأعشاب الضارة ، وهذه طريقة قديمة جدا . وهي تأخذ مجراها الطبيعي في كل بيئة قبل أن يكتشف الانسان فوائدها . ومن محاسن هذه الطريقة أنها تحدث توازنا ملموسا بين النبات والكائنات الحية المذكورة وبين الأعشاب المراد مكافحتها في منطقة معينة . ومع أن هذه الطريقة لا تضمن ابادة الأعشاب ابادة تامة ، الا أنها تتميز عن غيرها من الطرق التقليدية بانها تجري بصورة طبيعية بعد اطلاق الكائنات المتخصصة على الأعشاب ، كما انها تفضل الطرق الكيماوية بصورة خاصة لأنها لا تترك أثرا كيماويا في المحاصيل قد يؤثر في جودتها ، كما انها لا تلوث هواء المنطقة ومياهها وتربتها .

■ **الطرق التنافسية :** وتقوم معظمها بصورة غير مباشرة على منع نمو الأعشاب وانتشار بذورها . ويترتب عليها قيام المزارع باتباع دورة زراعية كاملة لثلاثة أنواع من المزروعات هي ، الحبوب ، والمحاصيل البقولية ، والمحاصيل المزروعة في أتلام يمكن عزقها . وهذه الدورة تساعد على عدم انتشار الأعشاب الضارة وذلك لاختلاف المتطلبات الغذائية لكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة فتستطيع بذلك أن منافسة الأعشاب والتغلب عليها .

■ **الطرق الكيماوية :** وقد بدأ تطبيقها في أوائل الأربعينات عندما اكتشفت المادة الهرمونية ٢-٤-دي (2-4-D) التي أثبتت جدواها في مكافحة الأعشاب العريضة الأوراق المنتشرة في الحقول المزروعة بالحبوب بمعدل كيلوغرام واحد لكل هكتار ، بينما تتطلب التربة عشرات أو مئات الكيلوغرامات من مواد زراعية أخرى كالسماد أو الأدوية



نموذج آخر لبعض نباتات الصويا قبل ازالة الأعشاب الضارة من حولها ، مما يبين تأثير هذه الأعشاب على نمو النباتات .

المعقمة لزيادة نمو المزروعات وانتاجها . فما هي طبيعة هذه المبيدات وما هي وظائفها ؟ وكيف تستطيع ابادة الأعشاب دون المساس بالمحاصيل ؟ وما هو تأثيرها على الزراعة والمزارع وما هو مستقبلها ؟

مبيدات الأعشاب

هنالك أكثر من مائة مركب كيماوي تستخدم كمبيدات للأعشاب الضارة في الحقول وبين مختلف المزروعات . وبعض هذه المبيدات ما يلحق أضرارا بالمحاصيل لدى ملامسته لها . وتستخدم هذه المبيدات عادة في الأراضي الزراعية المحيطة بالمصانع ومعامل تكرير الزيت ، وفي الأراضي الواقعة على جوانب الطرقات حيث تتسبب الأعشاب اليابسة في حدوث الحرائق ، وسد منافذ الطرق ..

وهذه المبيدات يجري رشها على النباتات فتمتصها الأوراق وتنتقل مع مادة السكر الموجودة في خلايا النباتات بواسطة « أنسجة اللحاء Phloem » أو يجري رشها فيمتصها النبات مع الماء والغذاء بواسطة الجذور ومنها الى « الأنسجة الخشبية Xylem » التي بدورها تقوم بتوزيع المبيدات على الأعضاء المختلفة . هذه الأنواع من المواد تسمى «المبيدات المتنقلة — Translocated herbicides » . أما « المبيدات الملامسة — Contact herbicides » فباستطاعتها قتل جميع أنسجة النباتات عند ملامستها لها في وقت قصير .

تقوم مراكز الأبحاث التابعة للجامعات أو الحكومات أو الشركات الصناعية في العالم ، بفحص العـديد من المركبات الكيماوية لمعرفة تأثيرها على النباتات المختلفة ، وذلك باستنباط مواد تصلح للاستعمال كمبيدات للأعشاب دون أن يؤثر ذلك على انتاج المحاصيل وجودتها .

ومن بين هذه المبيدات مادة « تو — فور — دي » وهي خاصة بقتل الأعشاب المنتشرة بين محاصيل الحبوب ، ومادة « بيرازون — Pyrazon » الخاصة بابادة الأعشاب المنتشرة في حقول الشمندر السكري ، ومادة « سمازين — Simazine » المبيدة للأعشاب الضارة بمحاصيل الذرة ، ومادة « أميبان — Amiben » القاتلة للأعشاب النامية في حقول فول الصويا .. اذن فما هو السر الكامن في قدرة هذه المبيدات على ابادة الأعشاب الضارة ؟

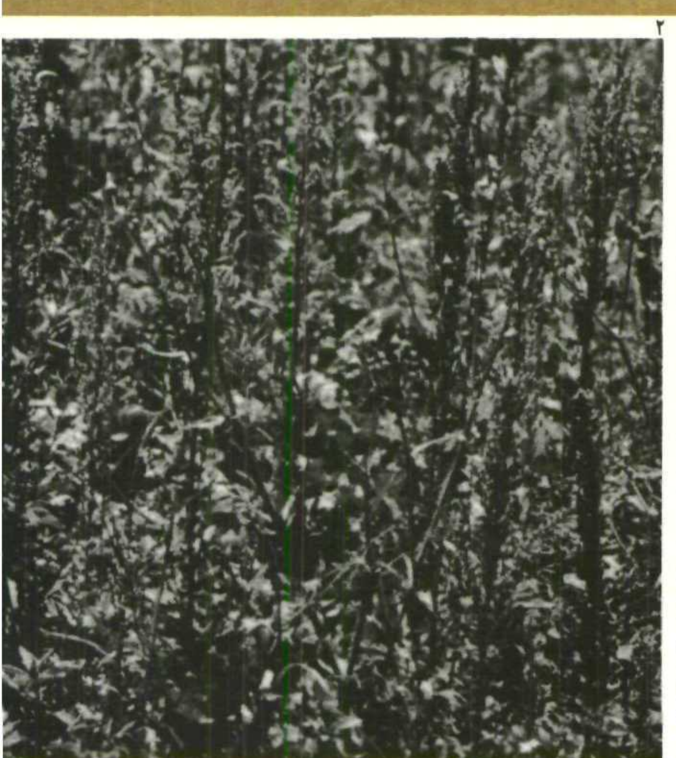
■ **أولا :** — الاختلاف في القابلية للبلل (Differential wetting) ، فعندما يرش المبيد الهرموني على الأعشاب ذات الأوراق العريضة والمنتشرة في حقول القمح والشعير ، فانه يستطيع أن يؤثر في أنسجة لحاء الأعشاب ويهدمها مما يعيق انتقال المواد السكرية بصورة طبيعية لتغذية جذورها .. كما انه نتيجة لاختلال التوازن الهرموني في الأعشاب ، فان المبيد يزيد في سرعة تنفسها مما يحدث جوعا مبكرا في الخلايا النباتية نتيجة لحرق « المواد النشوية — Hydrolysis » فيها بصورة سريعة .

■ **ثانيا :** مواضع خلايا النمو في النباتات (Location of growing points) وهي توجـد عادة في « التاج — Crown » تحت سطح الأرض، بينما توجد مراكز النمو في الأعشاب الضارة في قمة الساق مما يجعلها تتأثر بالمبيد عند ملامسته لها فينتج عن ذلك تغيرات عديدة في تركيب خلاياها ووظائفها الفسيولوجية .

■ **ثالثا :** الاختلاف في طبيعة النمو (Differences in growth habits)، ان « المحاصيل المعمّرة — Perennials » لديها طبيعة للنمو تختلف عن طبيعة نمو « الأعشاب الحولية — Annuals » ، ويمكن الانتفاع بظاهرة الاختلاف هذه لقتل الأعشاب الضارة . فاستخدام مادة « الدينترو أرثو كريزول — DNOC » القادرة على ايقاف



١



٢

عملية صنع « الطاقة الفوسفورية – Uncoupling of oxidative phosphorylation » في خلايا الأعشاب المنتشرة في محاصيل البرسيم مثلا ، ومادة « جرامكسون – Gramaxone » القادرة على تعطيل « عملية التمثيل الضوئي – Photosynthesis » يؤدي الى قتل الأعشاب الضارة دون أن يؤثر ذلك في محصول البرسيم الذي تستطيع جذوره العميقة الخازنة للمواد الغذائية ، أن تسترجع قوتها ونموها . هذا ويمكن رش هذا النوع من المبيدات الملامسة بين الأتلام أو تحت الأشجار المثمرة مع تجنب وصوله الى النباتات .

■ **رابعا** : الاختلاف في مقاومة النباتات للمبيدات الكيماوية ، (Defferences in plant tolerance to herbicides) ، وتختلف الأعشاب الضارة والمحاصيل في كثير من الأحيان في قابليتها لمقاومة المبيدات الكيماوية ،فالنباتات النافعة تستطيع أن تحول المادة السامة الى مركب غير سام وذلك بفضل وجود بعض الأنزيمات « Enzymes » النشطة التي تفتقر اليها خلايا الأعشاب الضارة مما ينتج عنه تخير في قتل الأعشاب يطلق عليه علميا اسم « التخير الحيوي – Biochemical selectivity » .

نرى مما تقدم أن مبيدات الأعشاب الضارة تلعب دورا مهما في رفع مستوى الانتاج الزراعي . لهذا فقد أصبح امكان استعمال مبيدات الأعشاب الكيماوية أمرا ضروريا في مختلف المزروعات خاصة وان اليد العاملة أصبح أجرها مرتفعا .

وبما أن فعالية هذه المبيدات الكيماوية تتأثر الى حد كبير بالعوامل الطبيعية مثل الحرارة ، والرطوبة ، والمطر ، والرياح ، فانه ينبغي القيام بعدد من التجارب العلمية التي يترتب عليها تحديد مواقيت استعمالها وطرق رشها ■

٣

١ – جانب من حقل للشمندر السكري وقد رشت نباتاته بالمبيد « بيرازون » بمعدل ٤ كيلوغرامات الهكتار الواحد .

٢ – قطعة أخرى من حقل للشمندر السكري وقد طغت على نباتاته الأعشاب فأثرت في نموها .

٣ – صورة تبين تأثير المبيدات على حجم جذور الشمندر السكري .

تعقيب على استطلاع "الوجه .. الحسن"

قرأت في عددكم التاسع الصادر في شهر رمضان عام ١٣٩٠هـ ، الموافق نوفبر عام ١٩٧٠م ، الاستطلاع الشيق تحت عنوان « الوجه .. الحسن » ، وقد سرني جدا ما احتواه من وصف دقيق لتعريف القارىء بهذا البلد الجميل الرابض على ضفة البحر الأحمر . وبصفتي أحد أبناء الوجه المغتربين الذي يفصلني عنه وهدة من الزمن مقدارها ستة عشر عاما ، وبعد أن قرأت استطلاعكم عن بلدتي هذه ، مهد طفولتي ومرتع صباي ، فانني أتوجه اليكم راجيا انصافها من غلطة تاريخية غير مقصودة وردت في الاستطلاع ، حيث ذكر الكاتب ما يلي : « ساءني ان ياقوت الحموي لم يذكر شيئا عن الوجه في كتابه « معجم البلدان » ، وكذلك لم يمر بهذه البلدة الجميلة كثير من الرحالين العرب كابن بطوطة ، وابن جبير ، والادريسي ، وغيرهم . وهذا يجر الى الاعتقاد بأن الوجه ليست قديمة فقد لا يتجاوز عمرها ثلاثمائة سنة . »

ولما كانت الوجه بلدة قديمة جدا وغائرة في أعماق التاريخ ، كتبت اليكم ملفتا نظركم الى ذلك ، ولا أريد أن أطيل عليكم بسرد النصوص التاريخية المثبتة لهذا ، لأن هناك وسيلة أقرب الى متناول يدكم ، وهي مجلتكم الفاضلة الغراء « قافلة الزيت » ، ففي عددكم الأول المجلد الرابع عشر من شهر محرم عام ١٣٨٦هـ ، الموافق شهر ابريل عام ١٩٦٦م ، وفي الصفحتين (١٩ و ٢٠) نشرتم للأستاذ صلاح البكري تحت عنوان « الآثار في الشمال الغربي من المملكة العربية السعودية » ما يلي : « في الوقت الذي اضمحل فيه سلطان اللحيانيين سطع نجم الثموديين في واحة الحجر ، والحجر هي نفسها آبار ثمود أو مدائن صالح أو قرى صالح ، وكان لها ميناء مهم يسمى « الحجر » ، وهو الذي يعرف اليوم باسم « الوجه » ، ومن هذا الميناء عبر الجيش الروماني بقيادة « اليوس جاليوس » أثناء عودته من الجنوب العربي الى الميناء الافريقي « موبس هورمس » .

وهكذا يرى سيادتكم بأن الوجه بلد قديم يرتبط تاريخه بالثموديين ، وان الاستنتاج القائل بأن عمرها لا يتجاوز ثلاثمائة سنة خطأ . اما كونها ميناء الحجر فهو أمر منطقي ، وواقعي وتاريخي ، فكما تعلمون ان كل الحضارات التي قامت منذ الأزل على الكرة الأرضية لا تستطيع الاستغناء عن الموانىء البحرية أو النهرية ، لأن هذه الموانىء هي ضرورة من ضرورات الحياة . وحيث ان الثابت ان الثموديين لم يكونوا معزولين عن الحضارات التي كانت سائدة في زمانهم وكانوا متأثرين بالحضارتين الفرعونية والبابلية ، وهذا ما تدل عليه آثارهم ، فاذا من الضروري أن يكون لهم ميناء على البحر الأحمر ليسهل عليهم الاتصال بالدول الحضارية القريبة منهم والاتجار معهم ، كمصر الفرعونية . واذا نظرنا من الناحية الجغرافية الى أقرب ميناء بحري يصل مدائن صالح بالبحر الأحمر فلن نجد أمامنا أي ميناء يقوم بهذا الغرض غير بلدة « الوجه» نظرا لقرب المسافة الزمنية بينها وبين عاصمة الثموديين . ناهيك عن أن وادي « الخور » في الوجه مليء بخرائب واسعة تنبىء بوجود الحياة في يوم ما سحيق في التاريخ ■

حسين حسن النوّاتي – جدة

تاريخ العين العزيزية



تأليف
الاستاذ عبدالقدوس الانصاري
عرض وتعليق
الاستاذ عبدالسلام هاشم حافظ

هذا سجل يكاد يكون متكاملا فيما قصد اليه مؤلفه البحاثة الأستاذ عبد القدوس الانصاري .. فهو يؤرخ لوضع مستحدث في مدينة جدة ساهم بالفعل في انطلاقتها الحديثة .. فالماء أهم عنصر للحياة وللدفع التطوري المنشود كحركة دائبة تمد في الطاقات وتشجع على المضي في الطريق ..

والعين العزيزية – بلا شك – لها دور حيوي في تاريخ جدة المعاصر .. ولهذا كان لا بد أن يؤلف عنها كتاب خاص يسجل كل شاردة وواردة . فهو يستقصي الأحداث التي صاحبت انشاءها والسبل التي سلكتها حتى أصبحت حقيقة يستمد منها الناس الرواء وتعين الحياة على النماء ..

وموضوع بحثنا هنا هو هذا السفر الموسوم « تاريخ العين العزيزية بجدة .. ولمحات عن مصادر المياه في المملكة العربية السعودية » وهو يقع في ٤٥٠ صفحة من القطع المتوسط عدا الفهارس والخرائط والرسوم والصور التي ازدان بها . كما يحتوي على نحو ثلاثين فصلا فيما عدا تقارير الخبراء الجيولوجيين التي استوعبت أكثر من مائة صفحة . وقد قام المؤلف بوضع هذا الكتاب عام ١٣٨٧هـ بناء على رغبة رئيس العين العزيزية الشيخ عثمان باعثمان ، رحمه الله ، كما تم طبعه عام ١٣٨٩هـ على نفقة ادارة العين العزيزية نفسها .

لمحة عن مصادر المياه في المملكة

يوحي عنوان هذا الفصل الذي بلغ ١٧ صفحة بأنه سيتناول في استعراض شامل مصادر المياه في المملكة جميعها ، القديم منها والحديث ، ولكن ولع المؤلف بالبحث اللغوي جعله يفيض في الحديث عن معاني لفظة « العين » وأوصافها وتصريفاتها في نحو ست صفحات .. بينما مهد لهذا الفصل بقوله بالحرف الواحد : « يتمثل الهدف الذي نرمي اليه من وراء كتابة هذا الفصل في اعطاء القارىء فكرة شبه شاملة عن مصادر المياه في هذه البلاد في الزمن القديم والحديث ، سواء أكانت تلك المصادر عيونا أم آبارا أم امطاراً أم سيولا أم نقرا أم صهاريج .. »

ولكن كل الذي أورده في هذا الفصل من مصادر المياه ، يكاد يكون محددا بمنطقة الحجاز ، فيما عدا أسماء خاطفة من بعض المناطق .. فنعرف من العيون في زمن الجاهلية : « عين أباغ » في منازل اياد بن نزار ، وفي صدر الاسلام « عين أبي نيزر » و « عين البغيبغة » وأنبطهما بينبع النخل الامام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، وعهد بهما لغلامه أبي نيزر ، ثم أوقفهما على فقراء أهل المدينة ، و « عين تحنس » ، التي أنبطها « تحنس » لمولاه الحسين بن علي – رضي الله عنهما . وعيون « الحديد والفوار ومروان » بأضم ، و « عين الخيف » بعوالي المدينة ، و « عين الرسول » غربي جبل سلع ، و « عين الشهداء » التي أجراها معاوية ، و « عين فاطمة » التي كان يطبخ منها اللبن لبناء المسجد النبوي في عهده الأول ، و « عين الزبير بن العوام » بشمال غربي جبل أحد . وكل هذه العيون بالمدينة . و « عين القشيري » بين الأبواء والسقيا بطريق مكة حيث كان يرتوي منها الحجاج ، وتحوطها المزارع ، و « عين زبيدة » التي أجرتها بمكة السيدة الفاضلة زوج الخليفة هارون الرشيد والتي سميت باسمها ، و « عين ابراهيم » بمنطقة الفريش التي تبعد عن المدينة بنحو (٥٠) كيلومترا وهي أول محطة في الطريق الى جدة .. و « عين أبي زياد » في شمال المدينة بأدنى الغابة .. وأخيرا « العين الزرقاء » الشهيرة العذبة التي أنبطها عامل معاوية على المدينة آنذاك : مروان بن الحكم ، وتعتمد المدينة عليها في سقياها منذ ذلك الزمن البعيد حتى اليوم مع اضافة التحسينات اللازمة لها بين حين وآخر ..

ويكتفي المؤلف بهذا التعريف الجزئي لينتقل الى الحديث عن تكرار ذكر العيون في القرآن الكريم الى أن قال في نهاية الفصل اجمالا : « ولم تكتف الحكومة العربية السعودية ، خلال وثبتها في العهد الفيصلي بادخال الاصلاحات الجذرية على عين الأزرق وعين زبيدة والعين العزيزية ، بل تجاوزت منطقة الاصلاحات هذه الى مناطق واسعة تتمثل في اجراء عيون أخرى في مختلف المدن والقرى بالمملكة ، والى اصلاح

مجاري المياه الفائضة في منطقة الاحساء .. لقد دخل نظام السقيا الحديثة مدينة الرياض .. وتفجرت ينابيع بريدة في شكل ارتوازيات عظيمة .. وأريحت جازان من الاستقاء من الموارد البعيدة ، فشقت لها « العين العزيزية الجازانية » .. وهناك « العين العزيزية » بينبع البحر ، والعين العزيزية برابغ ، .. وقل مثل ذلك في أملج والقضيمة وتول وذهبان .. وغيرها من القرى . »

ولا يسعنا بعد ذلك الا ان نطرح أمام المؤلف هذا السؤال : أين هي بقية مصادر المياه في باقي أجزاء المملكة ، قديما وحديثا خاصة منطقة الاحساء التي نعرف من عيونها الثرة : (أم سبعة والحارة وعين نجم المعدنية) ، ثم السيح الذي لا ينضب بالافلاج بين الرياض ووادي الدواسر الشهير ؟

واذا عمدنا الى مقدمة الكتاب ، كمدخل اليه ، وجدناها تستعرض شيئا من مظهر جدة العصرية الرحبة الأرجاء التي لم تستكمل مرافق الحياة ورفاهيتها في تاريخها الطويل الا منذ أربعين عاما .

ويستدرك المؤلف ليذكر الفترتين اللتين مرتا بانتعاش الحياة في جدة ، المائية منها والعمرانية في عهدي السلطان « قانصوه الغوري » في القرن العاشر الهجري ، والسلطان « عبد الحميد العثماني الثاني » في أوائل القرن الثالث عشر الهجري .. حيث جلب الأول عينا جارية سميت باسمه « عين الغوري » ، وأوصلت حكومة الثاني «العين الوزيرية» التي سبق للوالي التركي بجدة أن أجراها ..

بعد هذا ينتقل المؤلف ليورد مقتطفات من القصائد التي قيلت في المهرجان الذي أقيم بجدة احتفالا بانتهاء المرحلة الكبرى من مشروع العين العزيزية ودخول مائها الى جدة سنة ١٣٦٧هـ ، ومن ذلك الشعر الذي كان يترجم فرحة الناس بالحدث التاريخي .. يقول الأستاذ أحمد ابراهيم الغزاوي في قصيدته :

أجدة هذه ؟ أم دجلة نشرت
بها الحياة ودبت بعد اقواء ؟
بشراكم اليوم أفياء قد اتصلت
بها المناهل في يسر وامراء
مشى اليكم بها عصر السعود مدى
عبر الجموم ولا ماء كصداء
جرت « عزيزية » في الحوض وانشرحت
بها الصدور وعبت كل عجماء

يأتي الحديث ، بعد الفصل الأول ، عن هاتين العينين اللتين ورد ذكرهما قبلا . وقد جلبت الأولى من وادي « قوص » تحت جبل شمال « الرغامة » ، شرقي جدة ، وقد انقطعت في القرن الحادي عشر الهجري ، وأصلحت أكثر من مرة ليستمر جريانها أكثر من قرن ، ثم أخذت تضعف . وفي عام ١٢٧٠هـ ، وقد تزايدت أزمة الماء بجدة ، قام « فرج يسر » ، أحد تجارها ، بجمع الاعانات ، حيث تم اصلاحها وأعيد جريانها الى عام ١٣٠٢هـ ، ومن ثم أجريت « العين الحميدية » التي سميت بالعين الوزيرية – نسبة الى بئر الوزيرية التي جلبت منها والواقعة على الكيلو الحادي عشر شرقي مدينة جدة .. وكانت بها ملوحة ، ولكنها تعذب كلما تكاثرت مياه الأمطار ، وقد جرت مياهها في قنوات من أنابيب بطريقة متطورة ، وعمل لها خزان وضع به قسام لأول مرة في مدينة جدة آنذاك ، وأنشئت لها المناهل الموزعة في المحلات الكبيرة من المدينة ، ليستقي منها الناس ، ومد أنبوب من الخزان لتوصيل الماء الى الميناء البحري لسد حاجة البواخر . وكلتا العينين لم تحتاجا الى مضخات تدفع الماء نظرا لعلو مكانيهما .

وبمرور الأيام لم يعد وارد الماء يكفي للتزايد المتصل في السكان ، ولكون جدة مقرا للبعثات الدبلوماسية العربية والأجنبية ، وميناء لاستقبال الحجاج ، مما جعل الحكومة العثمانية تعمل على انجاز فكرة تقطير الماء من البحر ، مما عرف آنئذ « بالكنداسة » ، أي الآلة المقطرة ، وذلك في عام ١٣٢٥هـ ، وقد ظلت صالحة للاستعمال أكثر من ثلاثة أعوام ، ثم اعتراها الخراب ، وتكرر اصلاحها ، وظلت تؤدي مهامها في تؤدة حتى سنة ١٣٤٦هـ حيث توقفت ، وكانت طاقة انتاج « الكنداسة » ، كما جاء في تقرير البعثة الزراعية الأمريكية ، نحو ٣٠٠ طن من الماء المقطر يوميا .. وتعاقبت على ادارتها الحكومات : العثمانية والهاشمية ، ثم السعودية التي استوردت آلتين كبيرتين لاستئناف مهمة التقطير التي ظلت حتى عام ١٣٦٧هـ عندما حلت « العين العزيزية » محل الوزيرية ، ونقلت اليها ملكيتها رسميا بموجب الخطاب الصادر من وزارة المالية في ١٣٦٧/١١/٦هـ ، وتشكلت هيئة جديدة باسم « ادارة العين العزيزية » برأسة الشيخ عثمان باعثمان . وكان نفر من أهالي جدة قد جمعوا تبرعات من التجار بلغت نحو « مليون ريال » لتحقيق فكرة جلب مياه من عين جديدة ، اذ كانت جدة تعاني أزمة مائية بسبب تعطيل آلة التقطير « الكنداسة » مرات كثيرة وبسبب قلة هطول مياه المطر التي كانت تملأ الصهاريج .. مما حدا بسكانها الى الاعتماد على الماء الذي تحمله السيارات ذات الفناطيس من مكة المكرمة . ولكن جلالة المغفور له الملك عبد العزيز ، رحمه الله ، أخذ بزمام المبادرة وأمر باعادة كافة حقوق المتبرعين اليهم .

ثم عقد المؤلف فصلا عن تقرير البعثة الزراعية الأمريكية الذي صدر سنة ١٣٦٢هـ بعد عام من استقدام الملك الراحل لها للاستعانة بخبراتها وفنها في التعرف الى الأحوال الزراعية والمائية في معظم مناطق المملكة .

وقد جاء في التقرير بالنسبة لفكرة جلب الماء الى جدة من وادي فاطمة بمكة المكرمة : « وهذا الماء موجود على مستوى من الأرض مرتفع عن جدة ارتفاعا كافيا يمكن معه انحدار الماء اليه بطبيعة ثقله » .. وقد وضع التقرير تخطيطا مبدئيا لامتداد خط الماء من هذا الوادي الى جدة وفيه اقتصاد بالنسبة لظروف الحرب العالمية التي تسببت في ضائقات اقتصاديات معظم بلدان العالم .

واعتمادا على ما ورد في بعض فقرات ذلك التقرير ، يستنتج المؤلف وجود قرية كبيرة أثرية قديمة شمال غربي « حداء » ، لوجود قناة أثرية عتيقة كانت توصل الماء الى الحديقة .. وكان مصيبا في توجيهه النظر الى وزارة المعارف رجاء التنقيب في هذه المنطقة علها تتوصل الى اكتشاف مواضع أثرية بها ، خاصة وان المؤلف قد أشار الى وجود آثار قديمة متناثرة بوادي فاطمة ..

واذ يلاحظ المؤلف ان البعثة الزراعية المشار اليها ، لم تصل الى منطقة وادي خليص ذات المياه العذبة الوفيرة ، ويعزو ذلك الى ما قاله تقرير البعثة بأنه « لم يكن من المأمول في بلاد واسعة الأرجاء مترامية الأطراف كالمملكة العربية السعودية زيارة كل مكان فيها .. وأصبح من الممكن مقارنة الأماكن التي وضعت التقارير عنها بالأقسام التي لم يجر فحصها والحصول على الارشادات الضرورية لتحسينها واستثمارها » ..

ومع تقديرنا لمجهودات المؤلف الموفقة ، فقد كان يحسن به لو حصر معلومات كل فصل به وحده ، وخاصة ما يتعلق بالعين العزيزية ، موضوع البحث الرئيسي .

وفي السابع من محرم ١٣٦٦هـ جمع الملك الراحل كبار ملاك وادي فاطمة بمكة المكرمة وهم من الأشراف .. وأعلن لهم فكرة المشروع واعتزامه تنفيذه مهما كلف من مال ، وذلك سعيا الى توفير الماء العذب لأخوانهم في مدينة جدة وانه يعوضهم بسخاء عما يستحب من مياه عيونهم .

ثم جرى تعيين هيئة مختارة من قبل وزير المالية المرحوم الشيخ عبد الله السليمان لوضع التقديرات المناسبة وعقد الاتفاق الذي تم توقيعه في ١٠ محرم ١٣٦٦هـ ، واقتضى تحديد مقدار التعويضات.. والعيون السبع الواقعة في وادي فاطمة هي : عين أبي شعيب ، وعين الجموم ، وعين أبي عروة ، وعين الخيف ، وعين الروضة ، وعين الحسنية ، وعين الهنية ، ولقد بدىء بالكشف على مجاري العيون وجرى تنظيفها وتعميرها واصلاح قنواتها بما يضمن سلامتها في المستقبل ..

وقام بتصميم المشروع شركة د . بلفور الانجليزية بينما عهد الى شركة « جلاتلي هنكي » بتنفيذ المشروع . وقد استوردت له أحدث المعدات والأدوات .. ومدت الأنابيب من « الأسبستوس » والاسمنت ، واستغني عن القنوات القديمة .

ولم يمض عام ، منذ بدء العمل حتى وصل الماء هادرا صافيا الى قلب جدة من مسافة ٦٥ كيلومترا ، ومن عين أبي شعيب بالذات .. وأقيم بالمناسبة حفل كبير في السابع من محرم ١٣٦٧هـ برأسة جلالة الملك فيصل ولي العهد آنذاك .. وفيه وقعت الوثيقة التاريخية بمائة وأحد عشر توقيعا من المواطنين عن هذا المشروع الكبير الذي أسداه الملك الراحل لشعبه الكريم ، وقد قدرت نفقاته بستة ملايين ريال سعودي .

ولكن ماذا عن الوادي الثر – وادي فاطمة – ذي العيون النقية والمتدفقة بأحلى المياه وأعذبها ..

ثم وادي خليص ، اللذين يقعان في الجهة الشرقية الشمالية من جدة . وهما مرتفعان بحيث تنحدر المياه منهما تلقائيا ، ويبلغ ارتفاع العيون فيهما بين ١٨٠ الى ٢٤٠ مترا عن سطح البحر .. وتعتبر الناحية الشرقية الجنوبية للوادي هي المصدر الرئيسي لمياه هذه المنطقة كافة .. ويروى عن عيون وادي فاطمة ان عددها كان (٣٦٠) عينا .. وبفعل عامل الزمن فقد جف أو طمر منها الكثير .. الا أن العيون الجارية الباقية حتى الآن في هذا الوادي الخصيب ، كما يقول المؤلف ، تبلغ اثنتي عشرة عينا وهي عيون : أبي شعيب ، والريان ، والطرفة ، والدبة ، والقشاشية ، وأم الغطاط ، وسلطانة ، والخليص ، وأبي حصاني ، والخيف ، وأبي عروة ،والبرقة ، أما مصادر مياه هذا الوادي فتأتي من أودية عدة وروافد عديدة مما يصب فيه كوادي محرم ، ووادي حورة ، ووادي الشامية ، ووادي علاف ، ووادي سرق .

تلك هي عيون وادي فاطمة ، كما وردت في أكثر من موضع من فصول الكتاب .. فلنستوضح في هذا الوادي الشهير عدد العيون الجارية ، ومنها التي تعتبر مصادر حقيقية للعين العزيزية ، بعد أن أشار المؤلف ، كما رأينا ، الى ست منها فقط .. وقد اختلط الوضع بين أسماء لعيون هنا وبين أسماء لعيون هناك ..

فان المؤلف يورد في الصفحتين (٧٠ و ٧١) شروط الاتفاق على التعويض كمقابلة لاصحاب سبع عيون ، أورد معها أسماءهم ، كما أشرنا . فاذا ذهبنا نطابق أسماء هذه العيون السبع على أسماء العيون الاثنتي عشرة الجارية في وادي فاطمة ، لم نجد بينها العيون الأربع الآتية : (الجموم ، والروضة ، والهنية ، والحسينية) .. بينما في الفصل المنعقد باسم « نظرات اجمالية عن وادي فاطمة » يعيد المؤلف القول عن انه كان بهذا الوادي « ٣٦٠ عينا جارية تسقي ٣٦٠ قرية في الزمان القديم » وانه لم يبق منها الآن سوى هذه العيون التسع وهي : الخيف ، والقشاشية ، والعقيلية ، والريان ، والطرفاء ، وسلطانة ، والخليص ، وأبو حصاني ، وأم الغطاط .

كذلك بالرجوع الى خريطة عيون وادي فاطمة المثبتة في نهاية الكتاب ، واستقراء أسماء العيون فيها لم نجد بينها أسماء لعيون ورد الحديث عنها مثل عيني : الروضة ، والحسينية » .. ومثل العيون الثلاث : « الريان ، وسلطانة ، وعين القشاشية » التي تكتمل بها أسماء العيون الاثنتي عشرة الجارية ..

أما عن وادي خليص ، بواحة خليص .. والمسمى باسم احدى عيونه الثرة .. فانه محاط بسلسلة من الجبال ، ومناطقه الست ترتفع عن سطح البحر بين ١٦٥ — و ١٨٠ مترا ، ويقع على بعد ٧٥ كيلومترا شمال شرقي مدينة جدة .. وكما يقول المؤلف بأن خط مشروع خليص قد صمم على أساس أن يمون مدينة جدة بثمانية ملايين جالون من الماء العذب يوميا على أساس توسعة شبكة مياه مدينة جدة الداخلية . وهذه التوسعة لم تتم بعد ، والشبكة الحالية لا تستوعب هذه الكمية مع الكمية الواردة من وادي فاطمة . والكمية التي تصل في الوقت الحاضر وتستوعبها الشبكة ، تتراوح بين خمسة وستة ملايين جالون من الماء ، ومن ذلك ما تمون به القرى التي يمر بها الخط وكذلك محطة تزويد الوايتات بالكيلو ٣٤ بطريق المدينة المنورة » .

ويذكر المؤلف استنادا الى مقالة لحسن عبد الصمد ، بأن عدد الآبار التابعة لأهلها اليوم في خليص يبلغ نحو ٣٠٠ بئر تثبت عليها المضخات ويبلغ طول وادي خليص كحوض كبير ٢٥ كيلومترا منها ١٥ كيلومترا شمالا و ١٠ كيلومترات جنوبا . وكما ان حوله غابة يكثر فيها شجر المرخ والطرفاء وغيرها مما يوقد أو يستعمل كأخشاب . أما البساتين التي بالوادي فانها تزخر بألوان الخضروات والفواكه الى جانب النخيل والكروم .. وهذه تصدر الى مكة وجدة والمدينة . وبالنظر لخصوبة أرض هذا الوادي ووفرة مياهه ، فان المؤلف يركز على الحاجة الى العناية بمياهه وتنظيم أوضاعها واستغلالها للمزروعات المهمة الأخرى كالقطن والحبوب ، واصلاح الطرق الزراعية الداخلية وتعبيدها حتى يتيسر للشاحنات والسيارات الوصول اليها .

ومعظم سكان وادي خليص من قبائل حرب ، يبلغ تعدادهم نحو ١٣ ألف نسمة . ولذا فان به بعض الادارات الحكومية والمدارس ، وهو تابع لامارة رابغ ، يتركز بنزلة المغاربة حيث مقر امارة خليص ..

وبوادي خليص خمس مناطق — هي : (منطقة الخوار ، منطقة أبي عجب ، منطقة محجوبة ، منطقة الخرنقية ، منطقة الجبل بصند البقر) . وعيونه تسمى بأسماء هذه المناطق .. وتعتبر قمة مصادر مياهه عين الخوار . وهي مصدر لماء العين العزيزية .

وقد أنشئت محطة خاصة في عين أبي عجب ، لتنقية جميع المياه الواردة من وادي خليص الذي بدأت ادارة العين في تنفيذ مشروعه مع مطلع عام ١٣٨٦هـ على مرحلتين .. ووصل الماء الى الكيلو ٣٤ بطريق المدينة يوم ٢٨ ذو القعدة ١٣٨٦هـ وظل ينقل « بالوايتات » الى جدة حتى اتمام المرحلة الأولى بوصول الماء الى جدة يوم ٩ رمضان ١٣٨٧هـ . وتبلغ المسافة التي قطعها الماء من الوادي الى جدة نحو ضعف المسافة التي بين وادي فاطمة وجدة ..

وقد بلغت تكاليف مشروع وادي فاطمة بالاضافة الى ما أنفقه الملك الراحل ، ما يقارب العشرين مليون ونصف المليون ريال ، كما بلغت قيمة آلات محطة أبي حصاني وتجهيزات المباني والخزانات والبازانات ومبنى مصنع الأنابيب وغيره ، نحو أربعة ملايين ريال . أما تكاليف مشروع وادي خليص فأربت على ٢٢ مليون ريال .

وبعد ذلك يتحدث المؤلف عن أملاك ادارة العين العزيزية التي يقع مبناها العام في حارة الشام . والى جانب هذا المبنى الذي يضم مكاتبها وموظفيها ، هنالك خمسة مبان أخرى تابعة لادارتها . ومن ممتلكات العين العزيزية ، خمس عيون تقع بوادي فاطمة ، ومحطتان لضخ المياه ، ومن الآبار التابعة لها ، هنالك ست تقع في منطقة أبي حصاني ، وثلاث في الجموم ، وثلاث في منطقة أبي شعيب— وبها مجمع مياه أرضي ، ومحطة الكيلو ١٤ الواقعة على طريق جدة مكة ، وبها المكتب الرئيسي للعمال ومبان لسكنى الموظفين ومستودعات وورش وخزانات ، ومسجد .. كما تمتلك ادارة العين جميع الخطوط والتوصيلات فضلا عن الخط الرئيسي في وادي خليص وجميع التوصيلات ، ومحطة لضخ الماء بمنطقة أم الدار ، وقد عدد المؤلف (٢٣) فقرة لهذه الممتلكات .

كذلك يثبت المؤلف تقارير الخبراء الجيولوجيين عن وادي فاطمة ووادي خليص ثم التقرير النهائي حول امكان الحصول على الماء من وادي فاطمة « الن شورت » الخبير الجيولوجي في المديرية العامة لشئون الزيت والمعادن السعودية .. ويأتي بعد هذا تقريران للخبير الدكتور « فلكس رونر » عن حفر الآبار وجس الأرض في منطقة خليص وحول المياه الضائعة به وكلاهما مدعم بالصور .

ولقد استوفى المؤلف كل ما يتعلق بادارة العين العزيزية ونشاطاتها .. في فصول تكميلية لموضوع البحث مثل : كيف تعقم مياه العين ، وسعر الطن الواحد من الماء ، وتحاليل مياه العين في وادي خليص، وشهادات صحية عالمية ، ومعلومات فنية عامة ، ومشروعات المياه في جدة .

واذا عدنا لنتعرف الى الآثار التي وجدت بوجود « العين العزيزية » في جدة ، نجد أن المؤلف قد عقد لذلك عدة فصول .. وعلى رأسها : «أثرالعين العزيزية في نمو جدة وتطورها» ثم «مزرعة الكيلو العاشر» ، و« بلدالحدائق »، و« مدائن الحجاج » ، .. ثم فصل « هبتان ثمينتان » الذي يتحدث فيه عن منحتي الملك الراحل لشعبه بالعين العزيزية ثم بالأرض الشاسعة الخاصة لادارة العين شرقي جدة ، جهة الميناء الجديد.. وهي ضمن المخطط الجديد الذي صدر يومها لمدينة جدة . وقد نص الأمر بتحديد نصيب ادارة العين : « جميع الأراضي الواقعة على جانبي طريق جدة ، ابتداء من الكيلو السادس الى أوائل العيون التي يؤخذ منها الماء لجدة » . ويبلغ امتداد هذه الأرض نحو ٦٠ كيلومترا ، أقامت عليها ادارة العين منشآتها ومشروعاتها التي أصبحت ملكا لها ، بحيث حققت أرباحا مجزية جعلتها تسهم عمليا في كثير من المجالات الحيوية الناهضة بمدينة الثغر المتطورة .

ويختتم المؤلف كتابه بكلمة أخيرة يشيد فيها بجهود الدولة في دعم مثل هذه الأعمال الانشائية البناءة للبلاد .

بعد هذه الرحلة مع كتاب « تاريخ العين العزيزية بجدة » الذي ازدان بالرسوم الأثرية والعمرانية والفنية كتدعيم لتسجيل عمل يستحق أن يؤرخ .. لا بد من تحية له ولمؤلفه القدير الذي يقدم بين الحين والحين أياد طيبة للأدب في بلادنا ■

اخبار الكتب



● أصدر العلامة العراقي الأستاذ كوركيس عواد الجزءين الثاني والثالث من « معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين » وقد وقع الجزء الثاني في أكثر من ٥٠٠ صفحة بينما وقع الجزء الثالث والأخير في أكثر من ٧٠٠ صفحة . وقد اشتمل الجزء الأخير على « مستدرك » أورد فيه الأستاذ عواد ما فاته من مواد المعجم كما صحح بعض ما وقع فيه من أغاليط السهو والطباعة .

ومن المعاجم الجديدة التي ظهرت « معجم الأدب المعاصر » لبيير دو بواديفر وقد ترجمه عن الفرنسية الأستاذ بهيج عثمان .

ويشترك الدكتوران جبور عبد النور وسهيل ادريس في وضع معجم فرنسي /عربي عنوانه « المنهل » .

● من كتب التراث الجديدة « كتاب الأوائل » لأبي هلال العسكري وقد نشره الأستاذ أسعد طرابزوني و « ديوان عمرو بن قميئة » وقد حققه الشاعر الأستاذ حسن كامل الصيرفي و « ديوان الصاحب شرف الدين الانصاري » وقد حققه الدكتور عمر موسى باشا و « ديوان فتيان الشاغوري » تأليف أبو محمد فتيان بن علي الأسدي وحققه الأستاذ أحمد الجندي و « جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم » لابن رجب وقد ظهر جزؤه الأول محققا باشراف الأستاذ محمد الأحمدي أبو النور و « أسباب نزول القرآن » للامام الواحدي وقد حققه الأستاذ السيد أحمد صقر .

● ومن الكتب الاسلامية الجديدة « الاسلام » للأستاذ زيد بن فياض و « اعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق » للدكتور حفني محمد شرف و « مقومات الانسانية في القرآن الكريم » للدكتور أحمد ابراهيم مهنا و « أهل البيت » للأستاذ توفيق أبو علم .

● يطبع الأستاذ الكبير أحمد السباعي سيرة حياته الذاتية بعنوان « أيامي » ، وكان قد روى جوانب من هذه السيرة بأسلوب الرمز في كتابه السابق « أبو زامل » . ومن كتب السير التي ظهرت مؤخرا ، « الأب الضليل » وهو سيرة ألكسندر دوماس الكبير من تأليف أديت سوندرز وترجمة الأستاذ يحيى حقي ، و « نساء صنعن التاريخ » للأديبة مزين حقي ، و « زكي مبارك في العراق » للأستاذ عبد الرزاق الهلالي . كما يصدر للأستاذ ابراهيم المصري كتاب جديد عنوانه « أعلام في الأدب الانساني » .

● من الكتب الخاصة بالبلدان ظهر كتاب « مقاطعة جيزان » للأستاذ محمد بن أحمد العقيلي والجزء الثاني من « رحلات بيركهارت في سورية ولبنان » من ترجمة الأستاذ محمود العابدي .

● في الشعر ظهرت الدواوين الجديدة التالية « اليك » للأديبة السيدة هدى النعماني وطبعة جديدة من ديوان الشاعر الكبير حافظ ابراهيم صدرت في بيروت .

ويظهر للشاعر السعودي طاهر زمخشري ديوانان جديدان هما « الأفق الأخضر » و « مع الأصيل » .

● من الدراسات الأدبية والفكرية الجديدة كتاب « لمحات من الفكر الفرنسي » للدكتور عثمان أمين ، و « مقدمة الأدب الفلسطيني المعاصر » للأديبة ثريا ملحس ، و « ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة » للدكتور علي جواد الطاهر ، و « انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث » للأستاذ مالك بن نبي ، و « في الأدب التونسي » للأستاذ محمد الحليوي ، و « قراءات ليبية » للأستاذ علي فهمي خشيم ، و « المقامات الاسوانية » للأستاذ عباس الاسواني وهو مقامات في شؤون اجتماعية شتى .

● في الأدب الروائي ظهرت مسرحيتان شعريتان للأستاذ صلاح عبد الصبور هما « ليلى والمجنون » و « مسافر ليل » ، كما ظهرت مسرحية « أقدام الرعب » للأستاذ صلاح كامل . وأصدر الأستاذ ثروت أباظة مجموعة أقاصيص عنوانها « حين يميل الميزان » وصدرت مجموعات أخرى هي « ممر الى أحزان الرجال » للأديبة لطفية الدليمي ، و « عنب تشرين » للأستاذ طلال عبد المجيد ، و « من رحلة السندباد الثامنة » للأستاذ غازي العبادي .

● صدر للدكتور حسين ابراهيم عبيد كتاب في القانون عنوانه « النظرية العامة للظروف المخففة »

● أصدر الدكتور يحيى عبد العزيز أمين كتابا طبيا عنوانه « الطريق الى الصحة » .

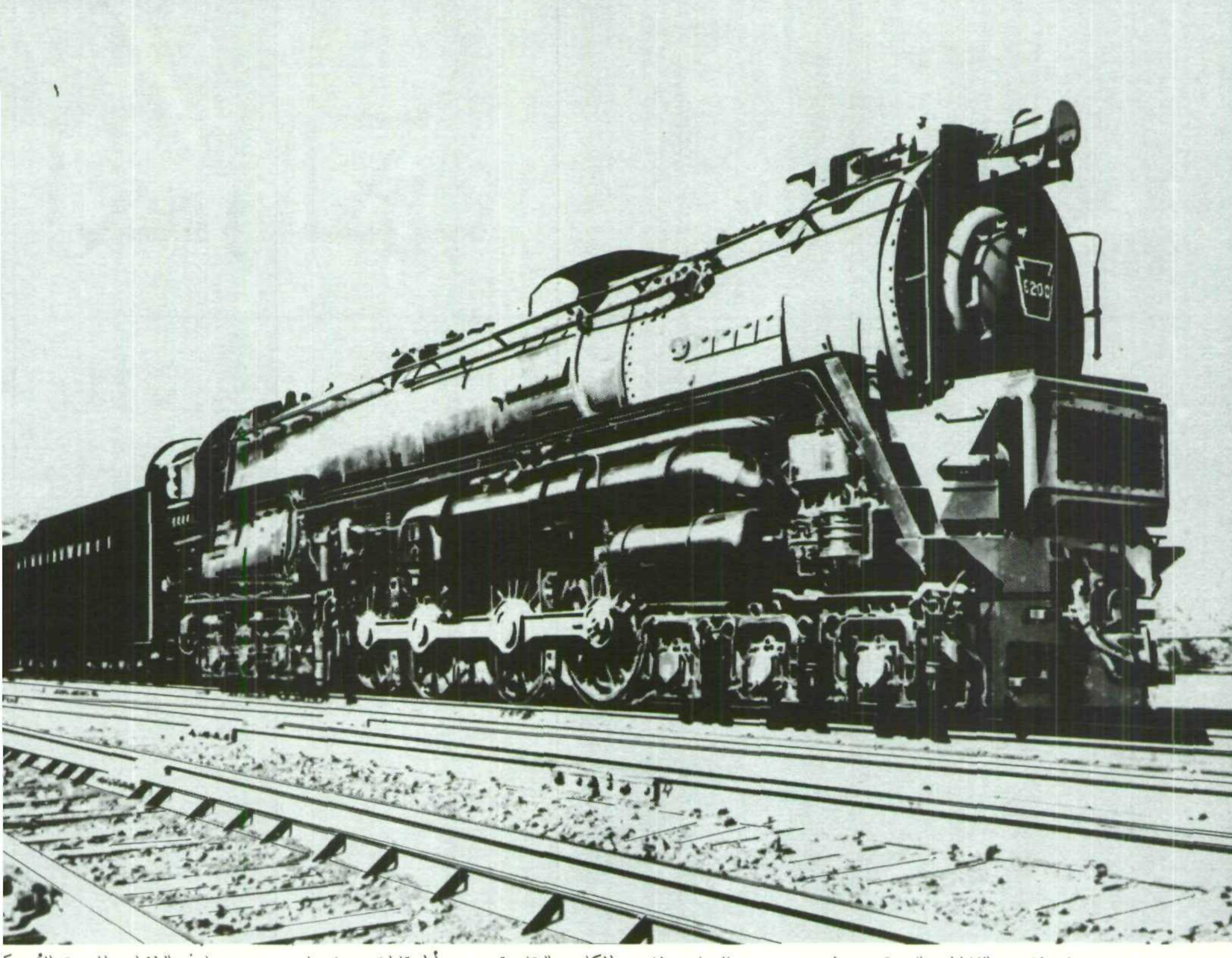
● « وجه في الزحام » كتاب للأستاذ أحمد بهجت فيه أحاديث مع رجل التاريخ .

● أصدرت الدار السعودية للنشر والتوزيع مؤخرا كتابين في سلسلة الدراسات التربوية هما « أطفالنا والتربية » للأستاذ محمد زكي عوض و « بين الحضانة والروضة » للأستاذ عبد الله بوقس ، مدير التعليم في جدة .. وقد قدم لهما سعادة الأستاذ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع ، وكيل وزارة المعارف ■

كتب مهداة

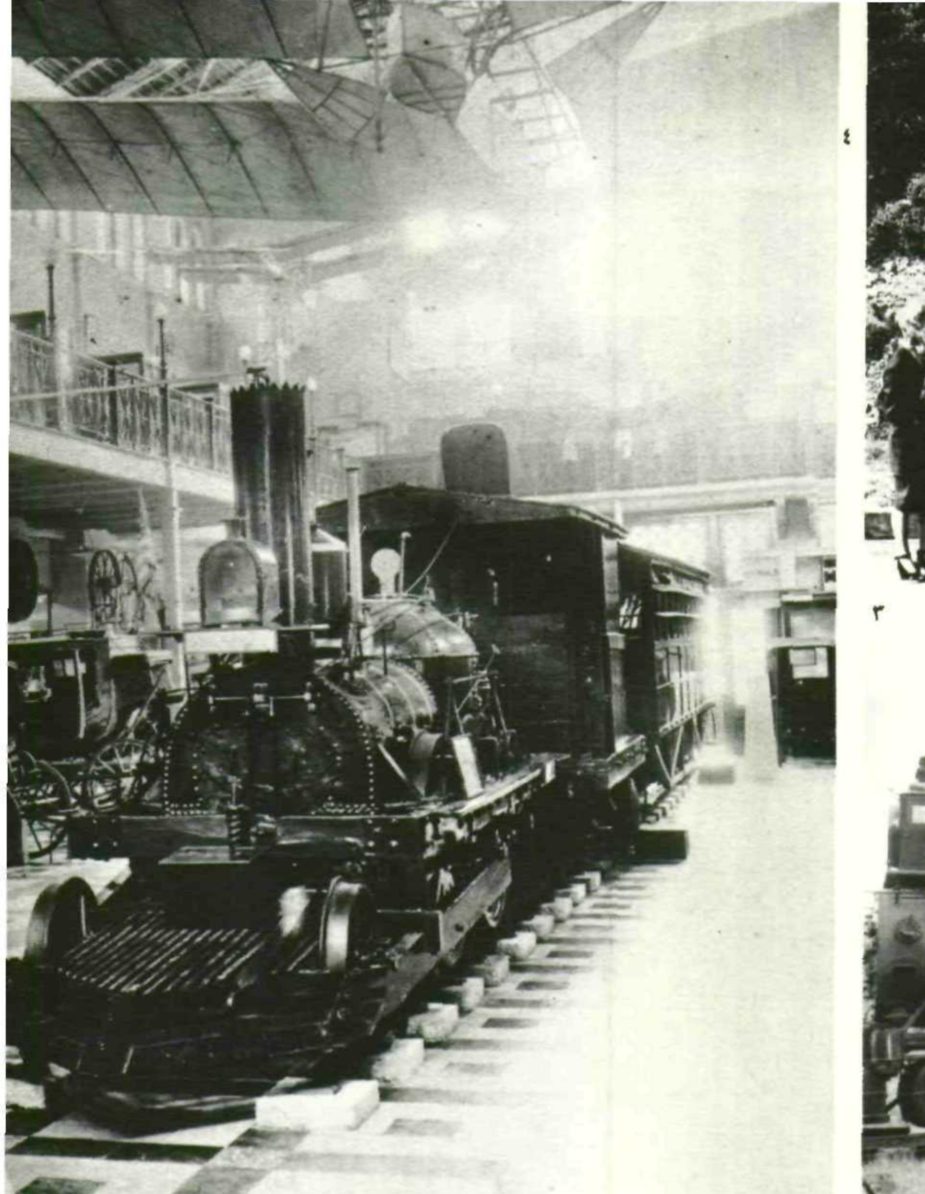
حظيت مكتبة القافلة مؤخراً بهذه المجموعة من المؤلفات الأدبية

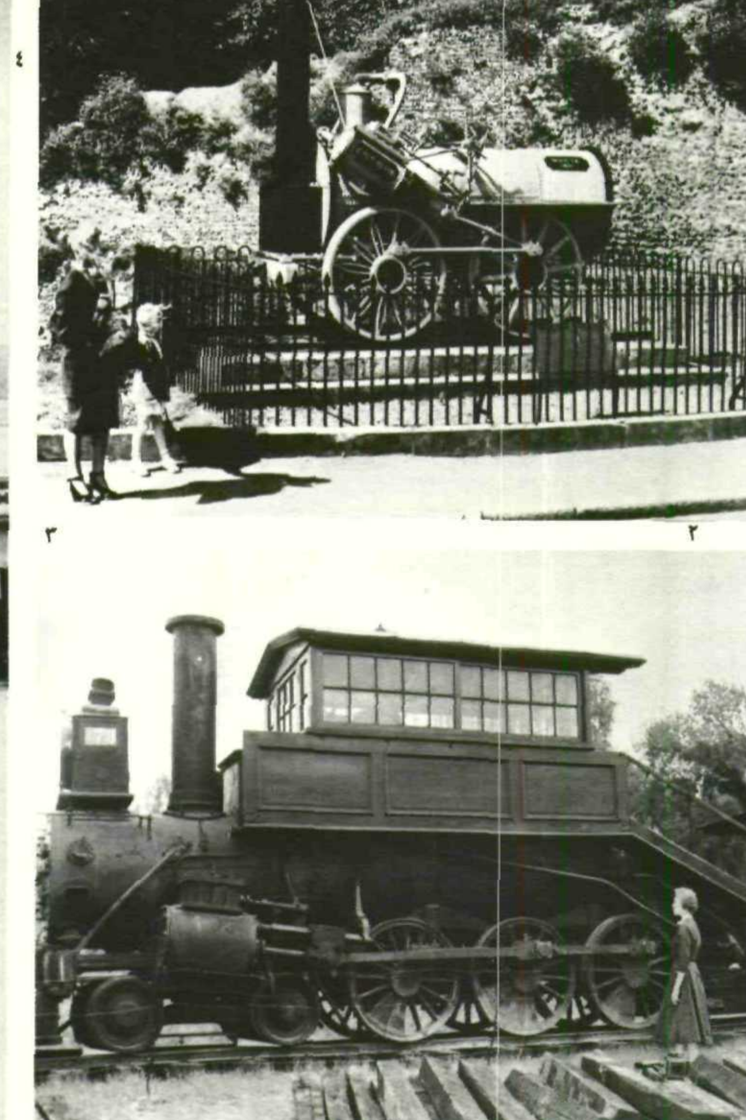
- « جرجي زيدان » للأستاذ محمد عبد الغني حسن .
- « جعيتا .. محاولة ذات صوتين » للأستاذ خليل رامز سركيس .
- « الجن بين الحقائق والأساطير » للأستاذ علي الجندي .
- « خمسة أيام في ماليزيا » للأستاذ عبد العزيز الرفاعي .
- « مسافر في التاريخ » مجموعة شعرية للشاعر محمد أحمد العزب .
- « الطبري » للدكتور أحمد الحوفي .. ■



١ – نموذج لاحدى القاطرات التي تسير بطوربين يدور بالبخار بدلا من المكابس التقليدية ، وهي أول قاطرة من نوعها يجري صنعها في الولايات المتحدة الأمريكـ
البريطاني الشهير « جورج ستيفنسن » عام ١٨٣٠ . وهي ما زالت محفوظة في أحد المتاحف في بريطانيا . تصوير : « ACME» ٣ – القـ
يوليه ١٩٥٨ بعد حفظها في متحف « جرين هاوس » الأمريكي . تصوير : « يو . بي . آي » ٤ – القاطرة « John Bull » أول قاطرة بخـ
في واشنطن مع العربات والسيارات القديمة . تصوير : « ACME »

السكك الحديدية عبر التاريخ





تم تدشينها في نوفمبر ١٩٤٤ . تصوير : « ACME » ٢ – أول قاطرة حديدية استخدمت في حركة نقل المسافرين ، وقد قام ببنائها المخترع

Camel Back » ذات العجلات العشر التي كانت تستخدم في تشغيل السكك الحديدية في الثلاثينات من القرن التاسع عشر . وقد التقطت لها هذه الصورة في

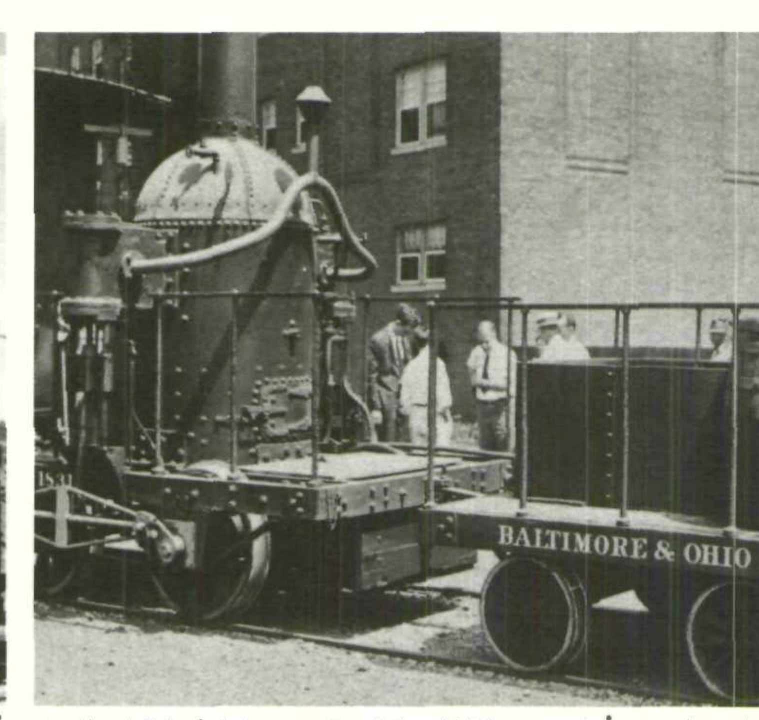
خدمت في جر القطارات الخاصة بنقل الركاب في الولايات المتحدة الأمريكية ، ويرجع عهدها الى ١٢ نوفمبر ١٨٣١م ، وقد حفظت في معهد « سمث سونيان »

قصة السكك الحديدية رغم قصرها تعطي القارىء صورة مقتضبة عن تاريخها الطويل وأثرها الجليل في التقدم الحضاري ، وفضل العلم الذي ما فتيء يشحذ العقول ويدفعها الى الابتكار والابداع .

ليس هناك ما يبين بالضبط وعلى وجه التحديد متى بدأ الانسان استخدام العجلات ، وكل ما هو معروف أنه استخدم القوافل ثم القوارب الشراعية ثم العربات الزاحفة لنقل البضائع الى مواقع التسويق بعد أن أوحت اليه جذوع الأشجار المستديرة بفكرة اتخاذ عجلات منها . ومع مرور الزمن تمكن الانسان من صنع العجلات الخشبية وتطويرها وتغطيتها بألواح حديدية لاطالة مدة استخدامها .

وتشير المراجع التاريخية الى أن البابليين هم أول من استخدم النقل البري ، ثم ظهرت العربات التي تجرها الثيران والبغال وغيرها من الحيوانات والتي استخدمها قدماء المصريين ، ثم الاغريق . وقد استخدم الجمل لأغراض النقل في شبه الجزيرة العربية . وكان الفينيقيون أول من استخدم خطا ملاحيا منتظما بين موانيء البحر الأبيض المتوسط ،حيث كانت تنقل البضائع النفيسة والكنوز القيمة . وعندما ظهرت المدن الكبيرة أصبح نقل الحبوب على جانب كبير من الأهمية مما حدا بالرومان الى ايجاد خطوط ملاحية منتظمة الى جانب شبكة الطرق البرية الممهدة في امبراطوريتهم المترامية الأطراف ، وذلك للأغراض المدنية والعسكرية .

وفي حوالي القرن الثاني عشر الميلادي استخدمت المركبات ذات العجلات لأول مرة لنقل السراة من الناس ، واستمر ذلك حتى القرن الثامن عشر عندما بدأت تسير خطوط الأومنيبوس في باريس ، وكذلك عربات الخيل بانجلترا . وفي منتصف القرن التاسع عشر ظهرت القاطرة البخارية ، وأصبحت السكك الحديدية من أهم عوامل النقل البري ، كما ظهرت في أواخر هذا القرن السيارات المزودة بالمحركات ذات الاحتراق الداخلي ، وفي بداية القرن العشرين بدأ عصر الطيران ، وأمكن التنقل بسرعة كبيرة ودون عناء .



القاطرة « بلتيمور - أوهايو » من القاطرات الرائدة التي تم بناؤها في الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٨٣١ ، والتي ما زالت معروضة في متحف « العلم والصناعة » في مدينة شيكاغو . تصوير : « ACME »



أول قاطرة تسير بالديزل ويجري صنعها في الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٨٦٤، وقد بلغت قوتها ٤٥٠٠ حصان ميكانيكي .. تصوير : « يو . بي . آي

أحد القطارات التجارية المحسنة التي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٤٠ . تصوير : « يو بي . آي »

تطوّر السّكك الحديديّة

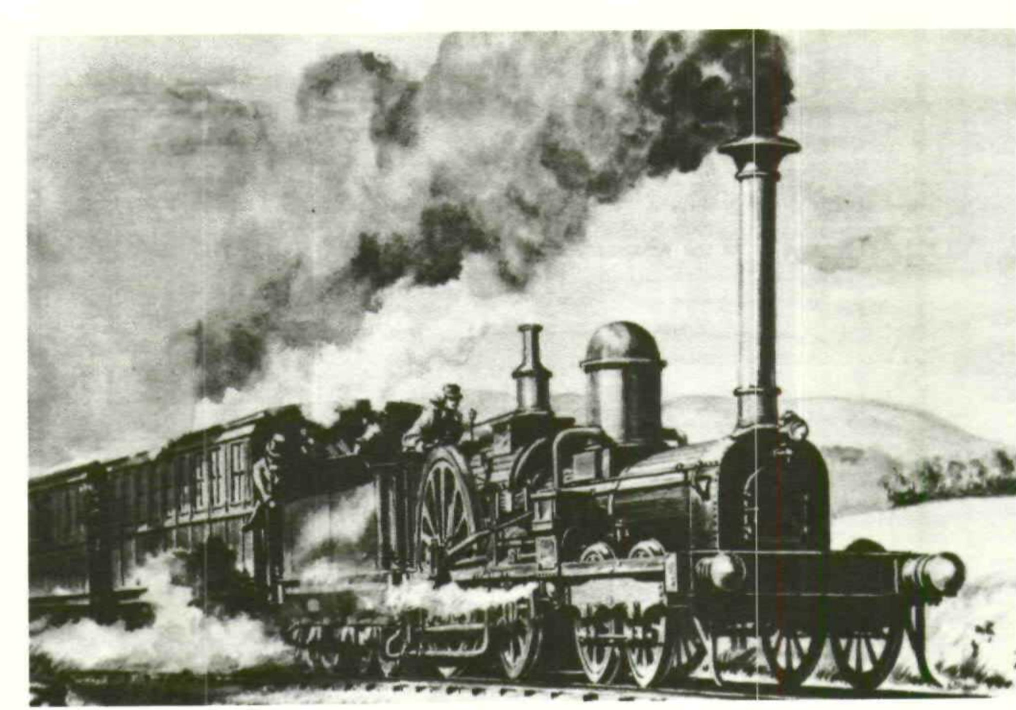
بدأ تاريخ السكك الحديدية أول ما بدأ في انجلترا . فقد كان اكتشاف الآلة البخارية حافزا للمخترع « ريتشارد تريفيثيك — Richard Trevithick » على وضع تصميم لمحرك بخاري تحمله عجلات باستطاعته أن يولد قوة تكفي لدفعه وتسييره ، وقد استطاع هذا المحرك أن يقطر خلفه عشرة أطنان من الحديد وخمس عربات وسبعين رجلا في « بني داران — Pen-Y-Daran » بمقاطعة « الويلز — wales » في انجلترا . الا أن هذه المحاولة التي قام بها « تريفيثيك » لم تحقق نجاحا ملحوظا من الناحية التجارية ، اذ ظل استخدام الحصان كوسيلة لجر العربات سائدا آنذاك .

وفي عام ١٨١١م قام « جون بلنكنسب — John Blenkinsop » بتصميم خط حديدي مسنن تسير عليه قاطرة ذات عجلات مسننة أيضا . وقد أثبتت هذه الطريقة جدواها في مقاطعة « ليدس — Leeds » ، وهي لا تزال تستخدم في المناطق الجبلية حتى الآن .

وفي عام ١٨١٣م قام « وليام هدلي — William Hedley » ببناء قاطرتين بخاريتين تعتمدان على وزنهما كعامل مساعد على التصاق العجلات بالقضبان الحديدية أثناء عملية القطر .

وفي عام ١٨١٤م نجح المخترع « جورج ستيفنسن — George Stephenson » في بناء أول قاطرة . وبفضل هذا النجاح تمكن ستيفنسن من اعتماد القاطرات البخارية كوسيلة نقل تسير على خط حديدي . وفي ٢٧ سبتمبر ١٨٢٥م تم تدشين أول سكة حديد عامة لنقل الركاب في العالم تسير على خط حديدي واحد للذهاب والاياب يبلغ طوله ٣٨ ميلا يمتد بين مدينتي « ستوكتن — Stockton » و «دارلنجتن Darlington » . ومما تجدر الاشارة اليه ، أن جورج ستيفنسن تولى بنفسه قيادة أول قطار بلغ وزنه ٩٠ طنا . وكان نتيجة هذا الحدث التاريخي أن تخلى الناس عن استخدام العربات التي تجرها الخيول كوسيلة للنقل البري بين هاتين المدينتين .

وفي أواخر العشرينات من القرن التاسع عشر شرع في انشاء عدة سكك حديدية لنقل الركاب والبضائع ، وكان أهمها سكة حديد « ليفربول — مانشستر » ذات خطين أحدهما للذهاب والآخر للاياب . وقد تم تدشينها في ١٥ سبتمبر

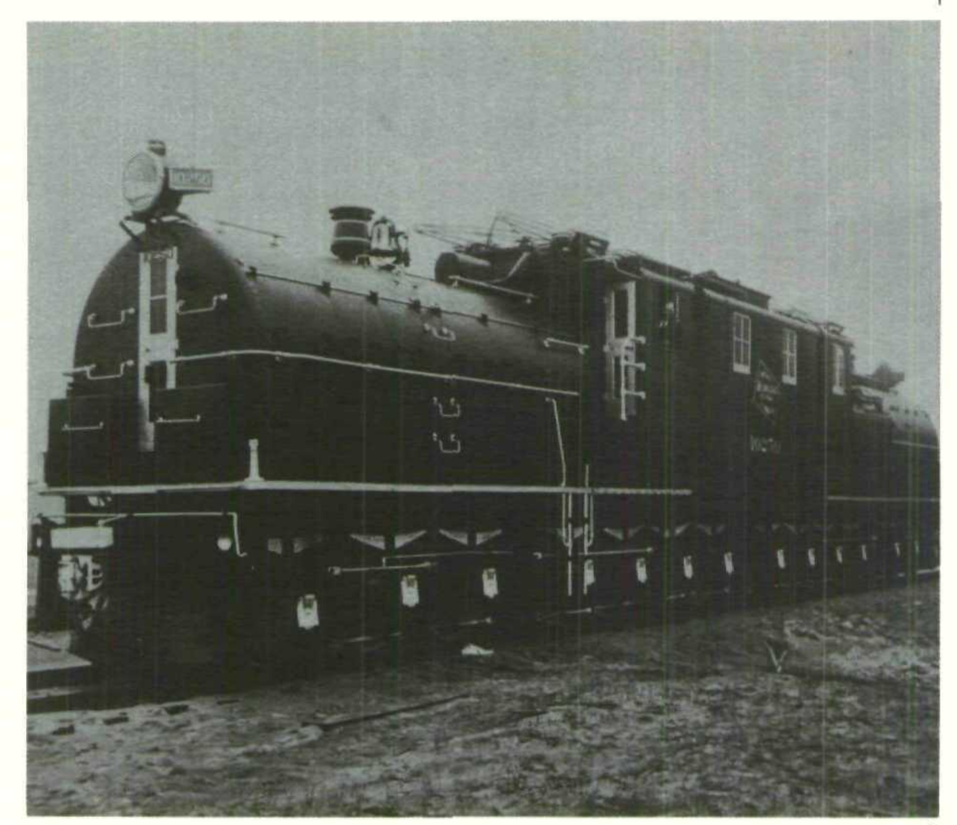


رسم يمثل القاطرة « Lightening » وهي أول قاطرة بخارية قامت ببنائها احدى شركات السكك الحديدية الأمريكية في عام ١٨٤٨ .. تصوير : « ACME »

احدى القاطرات القديمة التي مر على صنعها نحو ١٣٤ سنة ، وهي من القاطرات التي جرى عرضها في معرض شيكاغو للسكك الحديدية في يونيه ١٩٤٦ بمناسبة مرور مائة وثلاث عشرة سنة على تدشينها .



١



١ – كانت هذه القاطرة الكهربائية الخاصة بنقل الركاب والبضائع بداية عهد ظهور القاطرات الكهربائية في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تم ذلك في عام ١٩٣٣.. ويبلغ طولها ٧٦ قدما ووزنها ٢٦٥ طنا.. كما كانت مزودة باثني عشر محركا ركبت مباشرة على محور العجلة وبغرفتي مراقبة.. تصوير: « ACME »

٢ – قاطرة أمريكية الصنع تعمل بالكهرباء والديزل، ويبلغ وزنها ٤٥٠ طنا وقوتها ٦٠٠٠ حصان ميكانيكي وسرعتها ١٢٠ ميلا في الساعة.. وقد تم صنعها في سبتمبر ١٩٤٦. تصوير: « ACME »

٣ – من أحدث القاطرات التي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية خلال العقد المنصرم، هذه القاطرة الغريبة التي تسير بقوة هذين المحركين النفاثين المركبين على رأسها.. وتبلغ سرعتها ١٨٤ ميلا في الساعة. تصوير: « يو بي. آي »

٢

١٨٣٠م ، كما بلغ طولها ٣١ ميلا . وقد كان معدل الوقت الذي يستغرقه قطار الركاب في قطع هذه المسافة حوالي ٩٠ دقيقة . هذا وقد جرت في عام ١٨٢٩ مسابقة لاختيار أفضل تصميم للقاطرات ، أسفرت عن فوز تصميم ستيفنسن ، فحصل بذلك على جائزة مالية قدرها ٥٠٠ جنيه استرليني .. وهو ما زال محفوظا في متحف العلوم في لندن . وقد تقرر في عام ١٨٤٨ أن تكون المسافة بين قضبان السكك الحديدية أربعة أقدام وثماني بوصات .

أما في نصف الكرة الغربي من العالم فقد لمع اسم المخترع الأمريكي « جون ستيفنز — John Stevens » الذي أطلق عليه في الولايات المتحدة الأمريكية فيما بعد لقب « أبو السكك الحديدية » . الا أن ستيفنز عجز عن المضي بمحاولاته الرامية الى بناء سكك حديدية نظرا لافتقاره الى المال . وجدير بالذكر أنه كان استعمال الخشب والحديد والحجارة في بناء السكك الحديدية ، التي تسير عليها عربات تجرها الخيول أو المحركات ، شائعا في ذلك الوقت بشكل ملحوظ . ومن بين المخترعين الأمريكيين الذين أسهموا في بناء السكك الحديدية « جريدلي براينت — Gridley Bryant » الذي قام ببناء سكة أطلق عليها اسم « سكة حديد كوينسي — Quincy Railroad » ، وقد اقتصر استعمالها على نقل صخور الجرانيت من المحاجر الواقعة في مدينة كوينسي في ولاية مساتشوستس الى نهر « نبونست — Neponset » .

وفي عام ١٨٢٦ قامت شركة قنال هدسن وديلاوير ببناء سكة حديدية طولها ١٦ ميلا تربط بين قنال هدسن ومناجم الفحم . وهي أول سكة حديدية ، تسير عليها قاطرة ، تم انشاؤها في نصف الكرة الغربي . على أن أول خط حديدي أنشيء في الولايات المتحدة الأمريكية لنقل الركاب والبضائع هو خط « بلتيمور — أوهايو » الذي لم تستخدم عليه القاطرات . وقد أعقب ذلك بناء أول خط حديدي لأغراض النقل العام تسير عليه قاطرات بخارية بين مدينتي « شارلستون » و « هامبورج » .

ومنذ ذلك التاريخ أخذت يد التطور تمتد الى بناء المزيد من القاطرات التي أصبحت تعمل بالديزل والكهرباء والتي غدت تشكل دعامة متينة في مجال النقل البري ، بالاضافة الى توسيع شبكات السكك الحديدية في معظم بلدان العالم .

السّكك الحَديديّة في الدّول العربيّة

أما في الدول العربية فقد مدت أول سكة حديدية في مصر ، وكان ذلك في عام ١٨٥١م ، ابان عهد عباس باشا الأول ، وقد انتهى العمل منها في عام ١٨٥٦م ، ويمتد هذا الخط الحديدي من الاسكندرية الى القاهرة ، وقد أشرف على بنائه « روبرت ستيفنسن » بن جورج ستيفنسن الآنف الذكر ، مخترع القاطرة البخارية ، وتلا ذلك انشاء خط حديدي آخر يربط بين القاهرة والسويس عام ١٨٥٨م .

٣



سكة حديد الحجاز

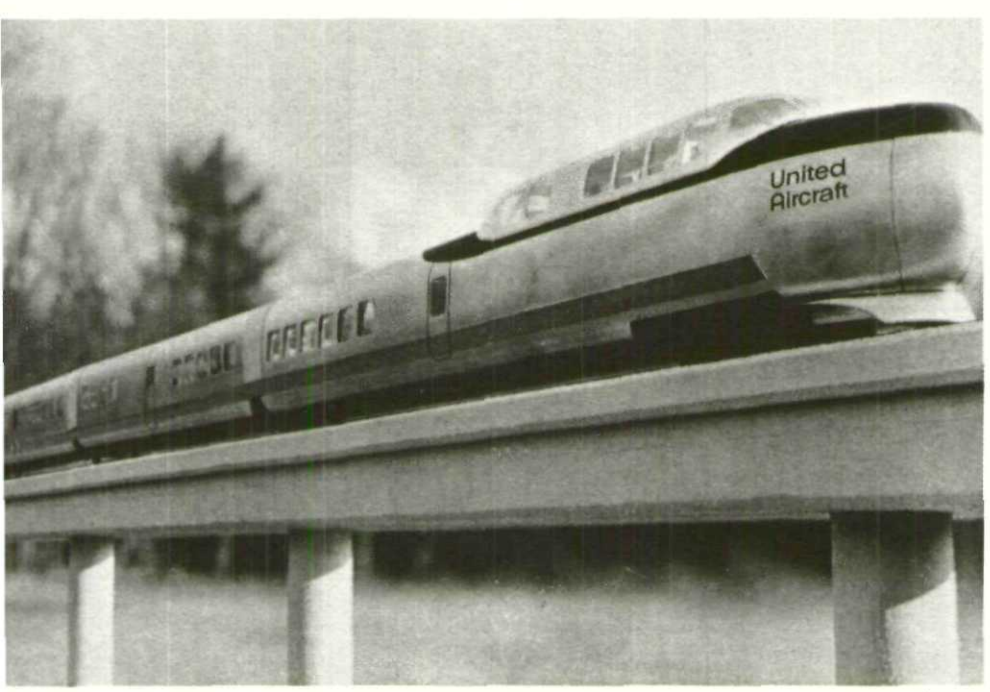
وأما في الجزيرة العربية فقد مدت سكة حديد الحجاز بين دمشق والمدينة المنورة ابان حكم السلطان عبد الحميد الثاني ، تيسيرا للمشاق التي كان يكابدها الحجاج في رحلتهم الى البلاد المقدسة لأداء فريضة الحج ، فانهالت التبرعات من العالم الاسلامي كافة حتى بلغت ثلاثة أرباع مليون ليرة عثمانية . واستغرق انشاء هذا الخط ثماني سنوات ، وتم افتتاحه في عام ١٩٠٧م . وقد أدى انشاء هذا الخط الحديدي الى تزايد عدد الحجاج الوافدين الى الأماكن المقدسة . ولما كانت المدينة المنورة أحد الطرفين الرئيسيين للخط ، فقد انتعشت أحوالها ونشطت تجارتها ، لا سيما وان هذا الخط قد أصبح شريانا حيويا ساعد على انعاش حركة التجارة بين الحجاز والشام . وقد بلغ من أمر ازدهار النشاط التجاري أن ارتفع ثمن الأراضي في المدينة المنورة آنذاك ، وزاد عدد سكانها زيادة سريعة .

ولكن الحرب العالمية الأولى ، وخروج الهاشميين على الدولة العثمانية ، في تلك الفترة ، أديا الى تعطيل الخط الحديدي ، لقطع الامدادات من الشام الى الجيش التركي في الحجاز . وقد عنيت حكومة المملكة العربية السعودية بأمر هذا الخط فاتفقت مع الحكومات العربية المعنية الأخرى على اصلاحه ، وترميم أجزائه المتلفة .

خط الدمام - الرياض

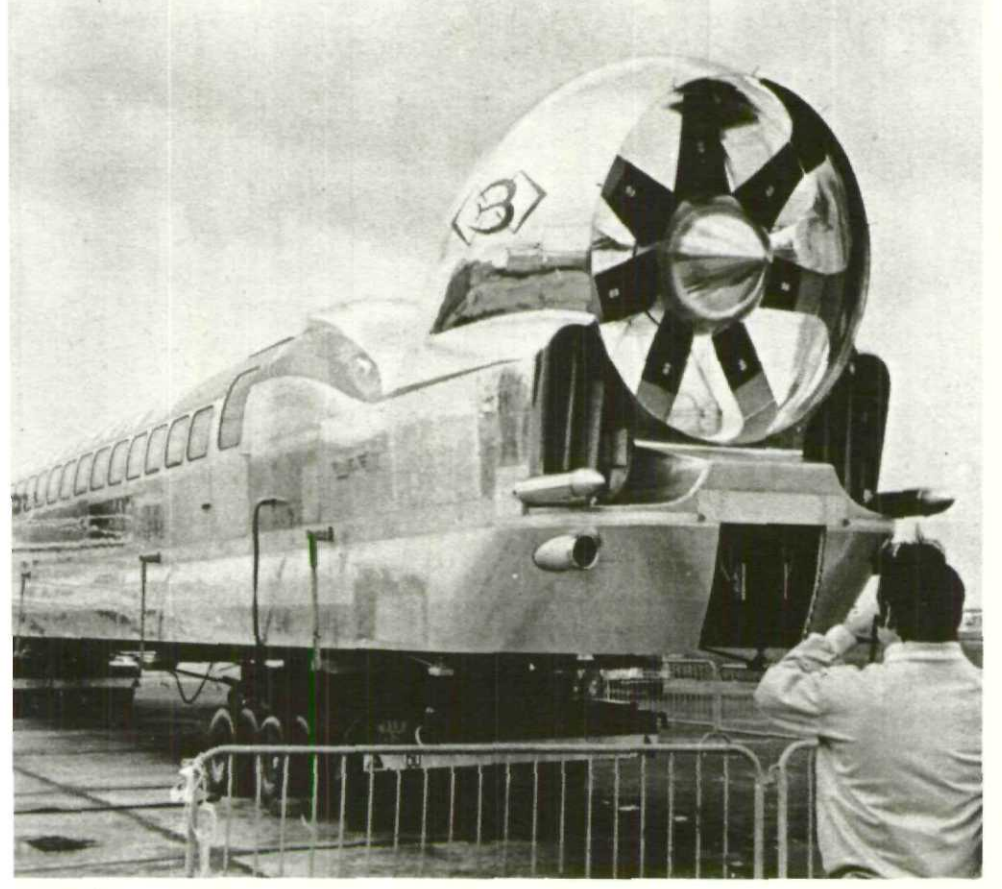
كان انشاء خط حديدي يصل الرياض بالدمام ويربط بين قلب نجد والخليج العربي أول مشروع للسكك الحديدية ينفذ في المملكة العربية السعودية . وقد شرع في انشاء هذا الخط الحديدي عام ١٣٤٧هـ بعد انجاز عمليات المسح البري والجوي . وقد افتتح هذا الخط رسميا في ١٩ محرم ١٣٧١هـ الموافق ٢٠ أكتوبر ١٩٥١م . وبلغت تكاليفه نحو ٣١٥ مليون ريال سعودي . ويمر هذا الخط الذي يبلغ طوله ٥٧٧ كيلومترا بالظهران والهفوف وحرض مجتازا صحراء الصمان الى الخرج ومنها الى الرياض . وقد أسهم الى حد كبير في انعاش النشاط الزراعي والتجاري في البلاد . وتتجه النية الى مد هذا الخط في المستقبل الى جدة مارا بالوشم والقصيم وحائل والمدينة المنورة قاطعا مسافة مقدارها ١٥١٤ كيلومترا ■

محمود عبد القادر الحاج



أحد القطارات الحديثة المصنوعة من الألمنيوم والتي تسير بواسطة طوربينات ، وتبلغ سرعته ١٦٠ ميلا في الساعة وهو مزود بسبعة محركات .. وقد بدىء باستخدامه في عام ١٩٦٧ . تصوير : « يو بي. آي »

منظر خلفي لأول قطار حوام عبر المدن لا يسير على سكك حديدية . وهو مزود بمحركين تبلغ قوة الواحد منهما ١٣٠٠ حصان ميكانيكي . وقد تم تجريب هذا القطار في فرنسا في يوليه ١٩٦٩ .. وهو يستطيع حمل ٨٠ راكبا بسرعة مقدارها ١٥٥ ميلا في الساعة . تصوير : « يو بي . آي »





القطار من وسائل النقل الرئيسية التي تربط بين المنطقة الشرقية والمنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية. تصوير: علي محمد خليفة



"والنخل باسقات لها طلع نضيد" - قرآن كريم -

راجع مقال "ينبع .. الخير" تصوير: خليل أبو النصر